الكتاب: هكذا يتصدق الفقراء

المؤلف: وجيه محمود

الناشر: دار الهدى للنشر والتوزيع

رقـــم الإيداع: 98/17541

الترقيم الدولى: 977/5822/32/7



المنيا ـ شاهين ـ عمارات مستشفى الصدر

ت 086/346713 ـ 012/3454568

دار القبس للطباعة

ت: ٣٦٤٠٨٢٥ ـ ٢٦٨٥٦٢٨ ـ ٥٢٤٢٣١٤

هكذا يتصدق الفقراء

﴿ قَولٌ مَّعرُوفٌ وَمَغفِرَةٌ خَيرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتبَعُهَآ أَذًى واللّه غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾

(البقرة 263)

"كل معروف صدقة"

(رواه البخارى ومسلم)

إهـــداء

إلى كل فقير

راضٍ كريم ..

صابر عفيف ..

يستغنى عن الناس .. بالقناعـــة والإيمـان

ويتصدق عليهـــم .. بالمعروف والإحسان

تقديـــم

يقول اللـــه تعالى ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۞ كَلَّا﴾[1].

المال ابتلاء...

في حالي وجوده وعدم وجوده.

وجوده ابتلاء لصاحبه.. هل يشكر؟!

وعدم وجوده ابتلاء لفاقده.. هل يصبر؟!

كما أن وجود المال ليس دليلا على محبة اللـــه وكرمه، وكذلـــك عدم وجود المال ليس دليلا على بغض اللـــه وســـخطه، فبقـدر التقـوى والعمل يكون الفضل والحب والتكريم.

والإسلام يجعل صاحب المال – الغني – مسؤولا عن فاقده الفقير يسأل عنه، ويتفقد أحواله، ويقدم له العون ماديا ومعنويا، وإلا فلن يكـــون أهلاً لنعمة المال ولا جديراً لحمل أمانته.

---

(1) سورة الفجر 15ـ17.

والغنى إذ يقدم عونا للفقير فإنه لا يقدمه تفضلاً منه، وإنما هو حق الفقير الذى أوجبه اللّه فى مال الغنى، يقول اللّه تعالى ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(1). تطهيراً للغنى وماله من الشح والحرص، وتطهيراً للفقير من الحقد والحسد.

وعندما يخرج الغنى حق الفقير فى ماله فإنه يتقرب إلى اللّه بقربه من أعظم القربات، وعبادة من أخلص العبادات، فأصدق دليل على شكر الغنى هو إنفاق المال فيما أمر اللّه أن ينفق فيه.

أما الفقير إذا ما كان صابراً على قدر اللّه فإنه كذلك يتقرب إلى اللّه بصبره الذى جعل اللّه أجره بغير حساب، يقول تعالى﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(2).

وحتى لا يشعر الفقير بنقص فى أداء ما فرض اللّه عليه من العبادات المالية، والتى تحتاج فى أدائها إلى معونة المال، وحتى لا يصيبه هم أو حزن على ثواب هذه العبادات التى لا يستطيع أداءها إلا أصحاب الأموال، وحتى يطمئن قلب الفقير إلى قدر اللّه، ولا ينظر للغنى بعين الحسد، وحتى لا يجره شوقه إلى ثواب الزكاة والصدقات والحج والعمرة وغيرها إلى تحصيل المال بطرق غير مشروعه، فإن الإسلام قد شرع للفقير من الأعمال والطاعات وصنائع المعروف ما يعوض ثواب العبادات المالية بل ويزيد ويضاعف دون مشقة أو عناء.

فإذا كان الغنى يتقرب إلى اللّه بصدقة المال، فإن الفقير يتقرب إلى اللّه بصدقة المعروف، والتى قد تكون أحيانا أفضل وأنفع من صدقة

---

(1) سورة المعارج 24 -25.
(2) سورة الزمر آية 10.

المال كما قال تعالى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾[1].

ومن ناحية أخرى فإن هذه الصدقات البديلة عن صدقة المال تنهض دليلاً قاطعاً على أن الإسلام هو التشريع الملائم لكل البشر باختلاف أحوالهم وظروفهم وبيئاتهم لأنه التشريع الصادر عن خالقهم سبحانه وتعالى والعالم بهم ظاهراً وباطناً.

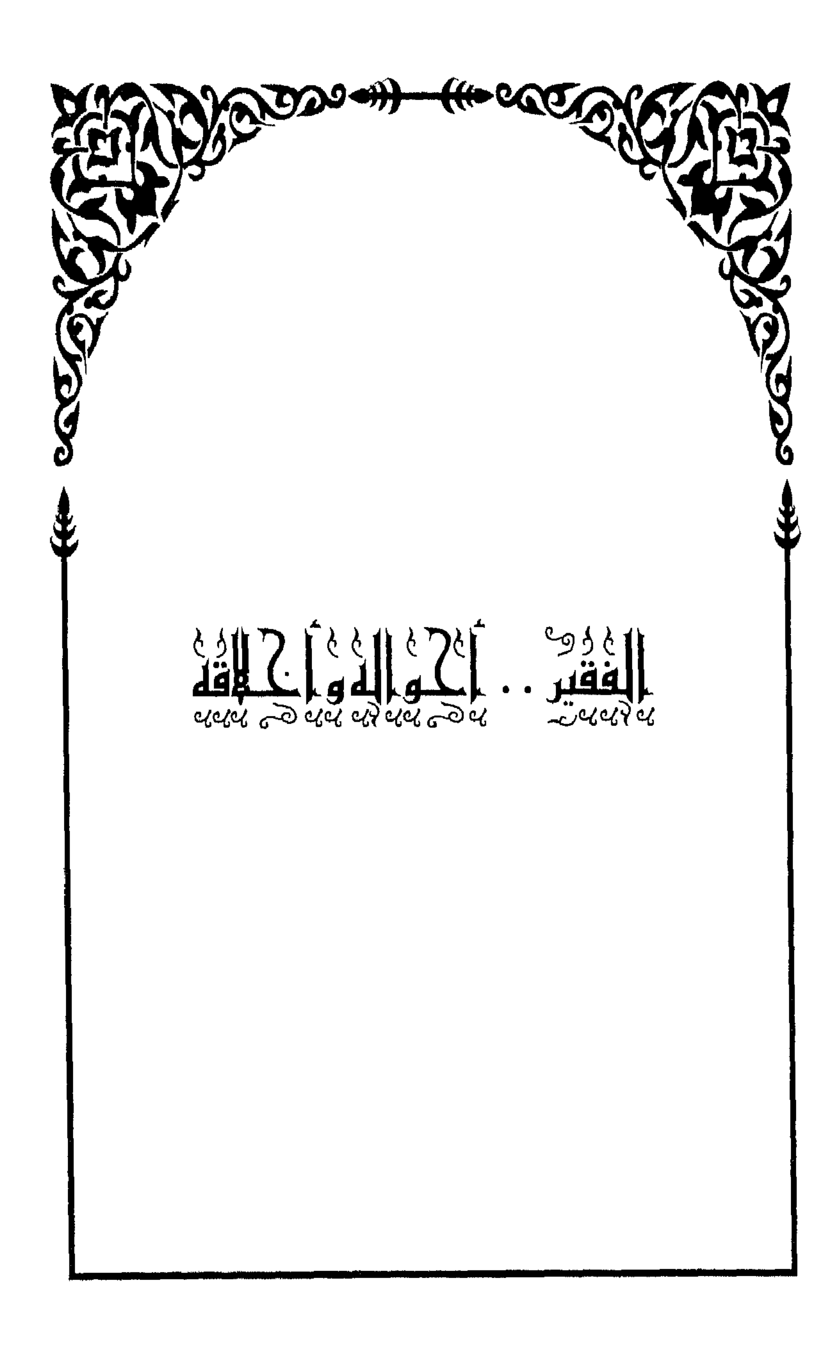
كما أنها ترد صراحة على ما يدعيه أعداء الإسلام من أن "الزكاة تجعل فرصة المسلم الغنى أفضل عند الله من الفقير لأن ماله يساعده على اكتساب ثواب أكبر"[2] فهذه الصدقات تقوم حجة قوية تدفع هذا الزعم الباطل الذى لا يقصد منه إلا الطعن فى الإسلام والنيل منه.

وعلى الصفحات التالية نعيش مع مجموعة غير قليلة من صدقات المعروف التى أرشدت إليها السنة النبوية الكريمة لتكون مغنماً للفقير يعوض به ما يعجز عنه من صدقات الأموال، ومهدت لها بحديث عن الفقير وما ينبغى أن يتحلى به من كريم الأخلاق التى تجعله أهلاً للعمل بسنة النبى الكريمﷺ، والتى تمكنه من اغتنام تلك الفرص العظيمة التى هيأتها له هذه الشريعة الغراء، شريعة الحق والعدل والإخاء.

د. وجيه محمود

---

(1) سورة البقرة آية 263.
(2) القرآن والرسول ومقولات ظالمة د/ عبد الصبور مرزوق 75/2.



الفقير.. أحواله وأخلاقه

تعددت أقوال العلماء فى تعريف الفقير، ويمكن الجمع بينها بأن الفقير هو غير القادر على توفير حاجته، وحاجة من يعولهم من الطعام والشراب والملبس والمسكن، وإن كان يملك نصاباً من المال.

والفقير والمسكين حكمهما واحد، وإن اختلف العلماء فى تعريف كل منهما، والتفريق بينهما، فكلاهما محتاج لا يفى خرجه بدخله، حتى أن بعض السلف يرى أنه لافرق بين الفقراء والمساكين، والله تعالى وصفهم بهذين الوصفين والمقصود شئ واحد، وذلك لتوكيد أمرهم فى الصدقات، لأنهم هم الأصول فى الأصناف الثمانية، وأيضاً الفائدة فيه أن يصرف إليهم فى الصدقات سهمان لا كسائرهم[1].

والفقير يتقلب فى أحوال متباينة، ودرجات متفاوتة تبعا لحال إيمانه ودرجة تقواه، وما ينتابها من قوة وضعف، ويقين وشك، وعلم وجهل، ومن ثم فإن الفقر قد يكون طريقاً إلى طاعة اللّه وسبيلاً إلى محبته، كما يكون مدخلاً للشيطان ومزلقاً للعصيان، حتى ليكاد يصل بصاحبه إلى مهاوى الكفر والضلال، ومن هنا نفهم سر استعاذة النبى ﷺ من الفقر فى قوله "اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والقلة"[2].

---

(1) انظر تعريف العلماء للفقراء والمساكين والتفريق بينهما وفائدة هذا التفريق فى التفسير الكبير للفخر الرازى 62/8 وما بعدها، وكذلك فى تفسير القرطبى "الجامع لأحكام القرآن" 3094/4 وما بعدها.

(2) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 1554 - 92/2.

وقد ذكر الغزالي خمس أحوال يتنقل بينها الفقير، ترتبط في غالبها بإيمانه ومدى قربه من ربه عز وجل، وطمأنينته إلى رزقه، وهذه الأحوال هي:

الأولى - الزهد:

أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وهرب منه احترازا من شره.

الثانية - الرضا:

ألا يفرح بحصول المال ولا يكرهه كراهة يتأذى بها.

الثالثة - القناعة:

أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لا لرغبة فيه، بل إن أتاه صفوا عفوا أخذه، وأن افتقد إلى تعب في طلبه لم يشتغل به.

الرابعة - الحرص:

أن يكون تركه طلب المال لعجزه، وإلا فهو راغب فيه، ولو وجد سبيلاً إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه.

الخامسة - الاضطرار:

أن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب.

ثم يضيف الغزالي إلى هذه الأحوال الخمس حالة أخرى، ويرى أنها أعلى هذه الأحوال جميعاً وهى الاستغناء، وهي أن يستوى عنده وجود المال وفقده فلا يفرق بين أن يكون المال فى يده أو فى يد غيره[1].

وواضح أن هذه الأحوال مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بإيمان الفقير

---

(1) إحياء علوم الدين 4/294 -295 بتصرف.

ويقينه بالله عز وجل، ومن هنا نفهم أن الفقر الحقيقى هو فقر الإيمان، والغنى الحقيقى هو غنى الإيمان، وبقدر إيمان المرء وحرصه على طاعة ربه تعالى تكون سعادته فى الدنيا، يقول اللّه تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، ومن هنا نفهم رفض النبى ﷺ لغنى المال وإيثاره الفقر عليه حيث يقول: "عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً، قلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوما[2]" وكذلك دعاؤه عليه السلام أن يجعل رزقه وآله كفافاً فى قوله "اللهم أجعل قوت آل محمد كفافاً"[3].

ولكن كيف يتسنى للفقير أن يتحصل على السعادة التى لا يستطيع الغنى أن يحققها أو يصل إليها رغم وجود المال؟

إنما تتحقق هذه السعادة عندما يتصف الفقير بالصفات التى يفرضها عليه الإيمان ويتخلق بالأخلاق التى تمليها عليه تعاليم دينه الحنيف والتى من شأنها أن تجعل عيشه هانئا سعيداً، وهذه الأخلاق وتلك الصفات نجمعها فى :

أولاً. التقوى:

التقوى جماع لأعمال الخير سواء كانت عقيدة أو عبادة أو سلوكاً، فالله تعالى يقول ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ

---

(1) سورة النحل آية 97.
(2) رواه الترمذى ـ كتاب الزهد رقم 2347 ـ 575/4.
(3) مسلم ـ كتاب الزكاة ـ رقم 1054 ـ 730/2.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1].

والفقير التقى مطمئن إلى قدر اللّـه وقضائه، مصدق لقسم اللّـه تعالى فى قوله ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[2].

والفقير التقى يعلم أن ما قدره اللّـه عليه هو الخير له، وإن كان فى ظاهره الشر والبلاء كما قال تعالى ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

والفقير التقى يعلم أنه محتاج إلى اللّـه فى كل أحواله، فى الفقر والغنى، فى المرض والصحة فى الضعف والقوة فى السكون والحركة لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[4].

كما أن الفقير التقى واثق فى وعد اللّـه للمتقين بالنجاة من الشدائد والخروج من المحن، والرزق الحلال فى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[5].

وروى أن هذه الآية نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى عندما أسر المشركون ابنا له، فذهب إلى النبى ﷺ يشتكى الفاقة وجزع الأم، فنصحه النبى ﷺ وإياها بالصبر والإكثار من قول "لا حول ولا قوة إلا بالله" ففعلاً، فمكن اللّـه ولدهما من النجاة ومن غنائم الأعداء أيضا"[6].

---

(1) سورة البقرة آية 177.
(2) سورة الذاريات آية 23.
(3) سورة النساء آية 19.
(4) سورة فاطر آية 15.
(5) سورة الطلاق آية 2،3.
(6) انظر أسباب النزول للواحدى النيسابورى 245، 246.

ثانياً .الصبر:

الصبر حبس النفس على المكروه مع تحمله برضا وتسليم، وما تقرب العبد بقربة إلى ربه إلا وأجرها معلوم إلا الصبر، فإن الله يأجر أهله بغير حساب، يقول سبحانه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، وقد ذكر الرازى فى تأويل هذه الآية ثلاثة وجوه:

الأول: أن يكون دائم الأجر لهم، وقوله تعالى "بغير حساب" معناه بغير نهاية، لأن كل شئ دخل تحت الحساب فهو متناهٍ، فما لا نهاية له كان خارجاً عن الحساب.

الثانى: أن يكون منافع كاملة، وعقل المطيع ما كان يصل إلى كنه ذلك الثواب، قال رسول الله ﷺ: "إن فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" وكل ما يشاهدونه من أنواع الثواب وجدوه أزيد مما تصوروه وتوقعوه، وما لا يتوقعه الإنسان فقد يقال: أنه ليس فى حسابه، فقوله تعالى "بغير حساب" محمول على هذا المعنى.

الثالث: أن ثواب أهل البلاء لا يقدر بالميزان والمكيال[2].

والفقير الصابر مأجور على صبره على ابتلاء الله له بالفقر، فكل ما يبتلى به المسلم فى دنياه مكفر للسيئات والخطايا، يقول النبى ﷺ: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"[3].

والفقير الصابر لا يزال مستضيئا بصبره مهتدياً به إلى الخير

---

(1) سورة الزمر آية 10.

(2) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للفخر الرازى 401/13.

(3) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان رقم 1664 ـ 148/3.

والصواب، كما يقول النبى ﷺ "الصبر ضياء"[1].

كما أن الفقير الصابر إذا استطاع أن يصل بصبره إلى درجة الغنى عن الناس، وعدم الحاجة إليهم وعدم السؤال إلا الله، والاستغناء عن الخلق جميعاً عن بعض ضروريات الحياة بحيث يرى نفسه كالغنى فهو – الفقير الصابر – فى هذه الحال يكون أفضل من الغنى الشاكر[2].

ثالثاً. الرضا:

الفقير الراضى يحمل قلبا نظيفاً طاهراً من الحقد والحسد والغل، يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، يقنع بالقليل من الرزق، فالقناعة غنى لا يزول، وكنز لا يفنى، وسعادة لا تنقضى، يقول النبى ﷺ: قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه"[3].

ورضا الفقير يغنيه عن الناس جميعاً فيصير غنياً برضاه وقناعته، يقول النبى ﷺ: "وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس"[4].

ورضا الفقير يحفظ له ثواب الفقر وأجر الصبر عليه، كما يقربه من رضا الله تعالى، يقول النبى ﷺ: "إن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط"[5].

---

(1) مسلم ــ كتاب الطهارة ــ رقم 223 ــ 203/1.

(2) وقع خلاف كبير بين العلماء حول: أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغنى الشاكر، والصواب فى ذلك ــ والله أعلم ــ أن الأفضل منهما من يصل إلى درجة الآخر، أى أن الغنى الذى ينفق ماله فى سبيل الله ولا يبقى منه إلا بقدر ضرورته بحيث يعيش بضروريات الحياة فقط حتى ليكاد يشابه الفقير فى حياته فهو فى هذه الحال أفضل، وكذلك الفقير إذا وصل بالصبر والرضا لدرجة السعادة والاستغناء عن جميع الخلق بحيث يرى نفسه كالغنى فهو فى هذه الحال أفضل.

(3) مسلم ــ كتاب الزكاة رقم 1055ــ 2:730.

(4) رواه الترمذى ــ كتاب لزهد رقم 551 ــ 501/4.

(5) رواه الترمذى ــ كتاب الزهد رقم 2396 ــ 601/4.

فالسخط مضيع للأجر، مغضب للرب، مقرب لعذاب الله ، يقول النبى ﷺ: "إنى لاعطى الرجل وغيره أحب إلى منه مخافة أن يكبه الله فى النار"[1].

رابعاً .التعفف:

الفقير المؤمن لا يظهر الشكوى والضجر، وإنما يخفى فقره ويستره، فلا يظهر منه إلا التعفف والتجمل، حتى أن الجاهل بأمره وحاله يظنه غنياً لتعففه وترفعه عن المسألة يقول الله تعالى فى وصف الفقراء الأعفاء: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[2] ، أى لإظهار التجمل وترك السؤال.

وقد استشف الإمام العلامة الرازى من هذه الآية معنى لطيفاً فيقول: وعندى أن المراد شئ آخر هو أن لعباد الله المخلصين هيبة ووقعا فى قلوب الخلق، كل من رآهم تأثر منهم وتواضع لهم، وذلك إدراكات روحانية لا علامات جسمانية، ألا ترى أن الأسد إذا مر هابته سائر السباع بطباعها لا بالتجربة، لأن الظاهر أن تلك التجربة ما وقعت، ومن هذا الباب آثار الخشوع فى الصلاة كما قال تعالى ﴿سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾ وأيضاً ظهور آثار الفكر، روى أنهم يقومون الليل للتهجد ويحتطبون بالنهار للتعفف"[3].

---

(1) رواه مسلم ـ كتاب الإيمان رقم 150 ـ132/1، وما تجدر الإشارة إليه هنا أن الحديث عن الرضا والقناعة لا يتعارض مع الحديث عن السعى والعمل من أجل الرزق، فكلاهما مأمور به، فالمسلم مأمور بالسعي والأخذ بالأسباب يقول تعالى "فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه" الملك 15 ـ ويقول تعالى "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله." الجمعة 10

(2) سورة البقرة آية 273.

(3) التفسير للفخر الرازى 639/3 بتصرف يسير.

كما أن الفقير المتعفف لا يكتفى بالترفع عن المسألة فحسب، وإنما إلى جانب ذلك فهو لا يظهر آثار الفقر والذلة والمسكنة، فإنه إن فعل ذلك فقد سأل بلسان حاله بل وألح فى سؤاله لأن "ظهور إمارات الحاجة تدل على الحاجة، وسكونه يدل على أنه ليس عنده ما يدفع به تلك الحاجة، ومتى تصور الإنسان من غيره ذلك رق قلبه جداً، وصار حاملاً له على أن يدفع إليه شيئا، فكان إظهار هذه الحالة هو السؤال على سبيل الإلحاف"[4].

والفقير العف المترفع عن السؤال تظهر عليه عزة الإيمان وجلاله، ويكون قريباً من قلوب الناس، ورضائهم، كما يحظى بمحبة الله تعالى، كما يقول النبى ﷺ: "إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال"[5].

خامساً ـ الكرم:

الفقير المؤمن رغم حاجته وفاقته جواد كريم، لا يحرم نفسه فضيلة البذل والعطاء وثوابها، فالله جواد يحب الجواد وكريم يحب الكريم.

والكرم خلق محمود فى الغنى بله الفقير وهو خلق يقرب العبد من ربه ويحببه إلى الناس، يقول النبى ﷺ: "السخى قريب من الله، قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس، بعيد من الجنة قريب من النار"[6].

والفقير المؤمن يؤثر غيره على نفسه مع حاجته الشديدة، وتلك أعظم درجات السخاء، وقد مدح الله تعالى صحابة نبيه الكريم فقال:

---

(4) التفسير الكبير 3/ 640.
(5) وراه ابن ماجه ـ كتاب الزهد رقم 4121 ـ 1380/2.
(6) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة، رقم 1961. ـ 342/4

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[7] ، وروى في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ نزل به ضيف، فلم يجد عند أهله شيئا فدفع به إلى رجل من الأنصار، فذهب بالضيف إلى أهله، وليس عنده سوى قوت صبيته، فوضع بين يديه الطعام، وأمر امرأته بإطفاء السراج، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ :"لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم"، ونزلت الآية[8] .

وقد بينت سنة النبى ﷺ أن أفضل الصدقة وأعظمها ثواباً صدقه الفقير المجهد المقل، حيث سئل عليه السلام: أى الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل"[9] .

فصدقة الفقير على قلتها تفضل وتسبق صدقة الغنى على كثرتها، لأن الفقير يخرج من قليل يحتاجه، فصار أفضل من كثير الغنى الذى لا يحتاجه، يقول النبى ﷺ: "سبق درهم مائة ألف، قالوا: يا رسول الله وكيف؟ قال: رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها"[10] .

سادساً ـ الصدق:

الفقير المؤمن صادق مع الله، صادق مع الناس، صادق مع نفسه، يعلم ما له، وما عليه، ويعلم حدوده وإمكاناته، فلا يحمل نفسه فوق طاقتها، إذ ينبغى أن يكون باطنه وظاهرة سواء، لأن مخالفة ظاهره لباطنه

---

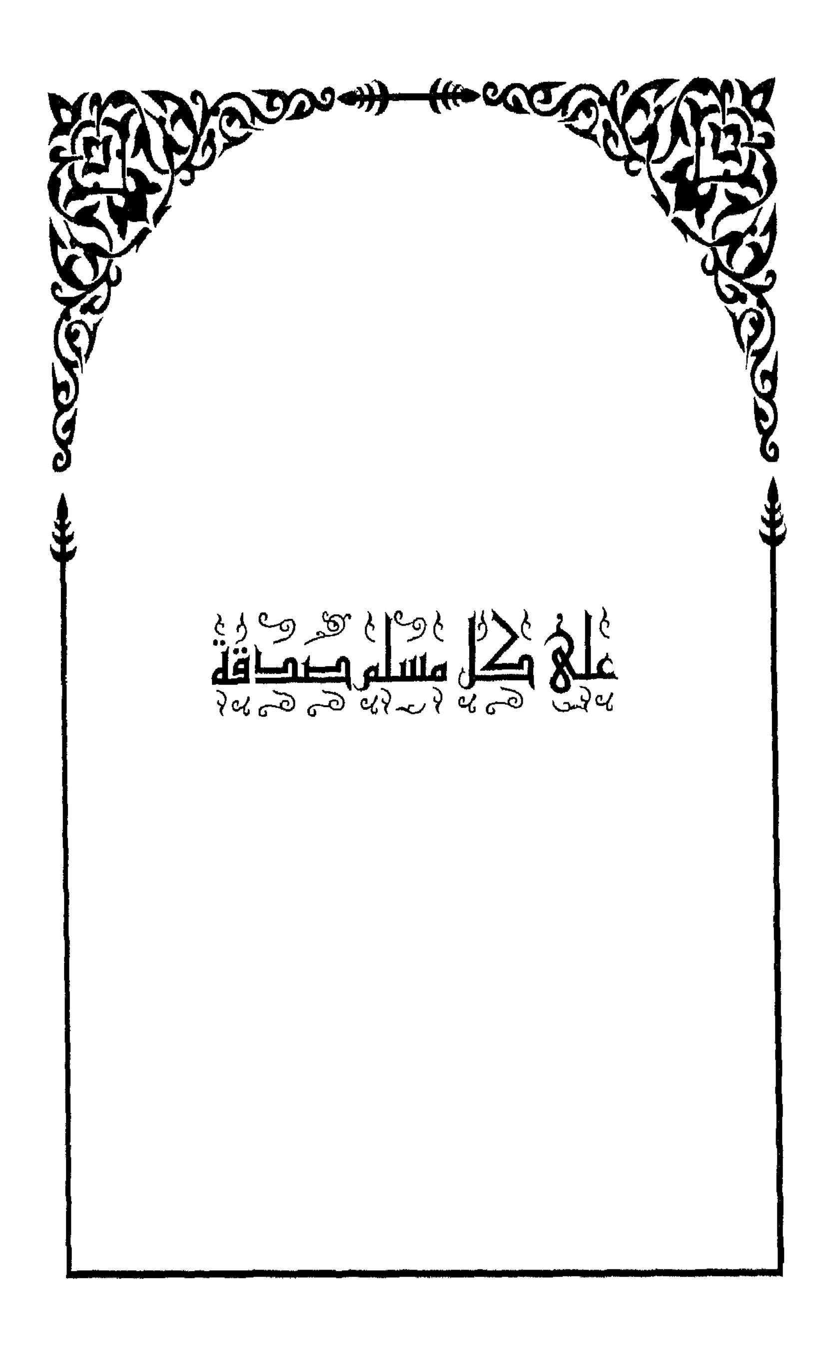
(7) سورة الحشر آية 9.
(8) انظر تفسير القرطبى 6748/10، وأسباب النزول للواحدى النسيابورى صـ238.
(9) رواه أبو داود ـ كتاب الزكاة، رقم 1677 ـ 132/2.
(10) رواه النسائى ـ كتاب الزكاة 95/5.

ستؤدى به إلى الوقوع فى شرك الرياء والتظاهر بما ليس فيه، وربمـا أدى به كذبه إلى التكبر على خلق اللّـه، فيقـع فـى سـخط اللّـه وغضبـه، يقـول النبى ﷺ: "لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم"[1].

والفقير الصادق مطمئن ثابت علانيتـه كسـريرته، والكـاذب وجـل مضطرب، يخشى أن يعرف الناس حقيقة أمره فينفضح سـره، يقـول النبـى ﷺ "الصدق طمأنينة والكذب ريبة"[2].



(1) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة، رقم 2000 - 362/4.
(2) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح رقم 1723 - 345/2.


على كل مسلم صدقة

ـ **يقول** رسول اللّه ﷺ: " على كل مسلم صدقة"[1].

ـ ويقول: "كل نفس كتبت عليها الصدقة"[2].

ـ ويقول: "كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس"[3].

••• واضح من هذه الأحاديث ـ وغيرها كثير ـ أن النبى ﷺ يوجه أمراً[4] إلى كل مسلم أن يتصدق فى كل يوم تأكيداً على مكانة الصدقة من التشريع، وبياناً لمنزلتها وثبوت حكمها على جميع الأمة.

ولكن المسلمين منهم الغنى الذى يستطيع ان يتصدق، ومنهم الفقير لا يقوى على الصدقة، فما معنى أمر النبى بالصدقة كل يوم، ذلك الأمر الذى لو أخذ بظاهره لكان شاقاً عسيراً حتى على الغنى المستطيع.

---

(1) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان رقم 589 176/1.

(2) المسند ـ بإسناد صحيح رقم 8593.

(3) مسلم كتاب الزكاة رقم 1009 699/2.

(4) يأتى الأمر بصيغ مختلفة منها فعل الأمر كقوله تعالى "أقم الصلاة لدلوك الشمس" (الإسراء 78)

ومنها الفعل المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" (البقرة 185)

وقوله عليه السلام" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"، ومنها الجملة الخبرية التى يقصد بها الأمر والطلب لا الإخبار كقوله تعالى "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة (البقرة 233) وكقوله عليه السلام فى الأحاديث المذكورة بصدر الباب إلى غير ذلك من الصيغ المعروفة عند علماء اللغة والأصول.

للإجابة على هذا السؤال نعرض للأمور التالية:

أولاً: الأمر للندب لا للوجوب:

فالأمر بالصدقة فى الأحاديث المذكورة كما قال العلماء على سبيل الندب والترغيب لا على سبيل الإلزام والإيجاب، فصيغة الأمر ترد على معان كثيرة منها الوجوب كما فى قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] ومنها الندب كما فى قوله تعالى، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[2] فقوله عليه السلام "على كل مسلم صدقة" أمر على سبيل الاستحباب باتفاق العلماء كقوله ﷺ: "خمس تجب للمسلم على أخيه رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض واتباع الجنائز"[3]، ففى هذه الخصال المذكورة ما هو مستحب اتفاقاً.

ثانياً. المقصود بالصدقة المذكورة:

أما المقصود بالصدقة المذكورة فهى صدقة المعروف كما فسرها قوله ﷺ فى حديث آخر"كل معروف صدقة"[4] تلك الصدقة التى يخرجها الناس جميعاً غنيهم وفقيرهم كبيرهم وصغيرهم قويهم وضعيفهم، فالمعروف كل فعل يعرف فيه رضاء اللّه تعالى.

فصدقة المال ليست هى المقصودة فى الأحاديث المذكورة لأن صدقة المال مقصورة على أهل اليسار فحسب، أما الصدقة المندوب إخراجها على كل نفس فى كل يوم هى صدقة المعروف بأنواعه المختلفة ولذلك فهى صدقة أعم وأرحب من صدقة المال.

---

(1) سورة النور آية 56.
(2) سورة النور آية 33.
(3) مسلم كتاب السلام - رقم 2163 1074/4.
(4) مسلم كتاب الزكاة - رقم 1005 697/2.

والمراد بكون المعروف صدقة أى أن لصاحبه ثواباً كثواب المتصدق بماله وأجراً كأجره، ومرد الثواب فى الصدقتين صدقة المال وصدقة المعروف إلى نية المرء وإخلاصه العمل للّه وحده.

ثالثاً - الحكمة من صدقة المعروف:

تتجلى الحكمة من هذه الصدقة التى أوجبها النبى على أعضاء الإنسان فى شكر اللّه تعالى على هذه النعم التى يتمتع بها الإنسان مع السعى والمعيشة، وخص ذكر السلاميات (المفاصل) لما فى التصرف بها من دقائق الصناعات التى اختص بها الإنسان.

- وكذلك شرعت صدقة المعروف لعتق هذه المفاصل من النار حيث جاء فى حديث النبى ﷺ أنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر اللّه وحمد اللّه وهلل اللّه وسبح اللّه واستغفر اللّه وعزل حجراً عن طريق الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار[1].

- وفى صدقة المعروف تقدير لمشاعر الفقراء وإرضاء لرغبتهم فى الحصول على ثواب الصدقة، فقد روى أنهم شكوا إلى النبى ﷺ حرمانهم من أجر الصدقة التى استأثر بها الأغنياء فطمأنهم عليه السلام بقوله "أو ليس قد جعل اللّه لكم ما تصدقون به إن بكل تسبيحه صدقة وكل تكبيره صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليله صدقة ....."[2].

- وقد بين القرآن الكريم أن صدقة المعروف قد تقوم بنفس الوظيفة التى تؤديها صدقة المال وهى تزكيه النفوس وتأليف القلوب بل إن

(1) مسلم كتاب الزكاة - رقم 1007 698/2.
(2) مسلم كتاب الزكاة - رقم 1006 698/2.

إسداء المعروف إلى الفقير أفضل من إعطاء المال الذى يتبعه أذى أو تعيير، يقول تعالى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾[1].

فصدقة المال التى يتبعها أذى لا ضرورة لها "وأولى منها كلمة طيبة وشعور سمح كلمة طيبة تضمد جراح القلوب وتفعمها بالرضا والبشاشة ومغفرة تغسل أحقاد النفوس وتحل محلها الإخاء والصداقة فالقول المعروف والمغفرة فى هذه الحالة يؤديان الوظيفة الأولى للصدقة من تهذيب النفوس وتأليف القلوب[2].

رابعاً - الفرق بين صداقة المال وصدقة المعروف:

صدقة المال سواء كانت فرضاً أو تطوعاً تكون على غير المحتاجين لهذه الصدقة أما صدقة المعروف فهى صدقة على صاحبها المتصدق بها، سواء عاد نفعها على الغير كإرشاد الطريق ومساعدة الضعيف وإغاثة الملهوف وغيرها من صنائع المعروف، أو عاد نفعها على النفس كذكر اللّه والمحافظة على الفرائض الشرعية وغيرها من الطاعات التى يعود نفعها على صاحبها، كما جاء فى حديث النبى ﷺ عن صدقة المعروف "على كل نفس فى كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه قيل يا رسول من أين أتصدق وليس لنا أموال قال لأن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واستغفر اللّه وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر وتهدى الأعمى وتسمع الأصم .... كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك"[3]، وفى حديث آخر يقول النبى ﷺ وأنت

(1) سورة البقرة آية 263.
(2) فى ظلال القرآن 380/1.
(3) المسند - بإسناد صحيح رقم 21376.

فيك صدقة، رفعك العظم عن الطريق صدقة وهدايتك الطريق صدقة..."[1].

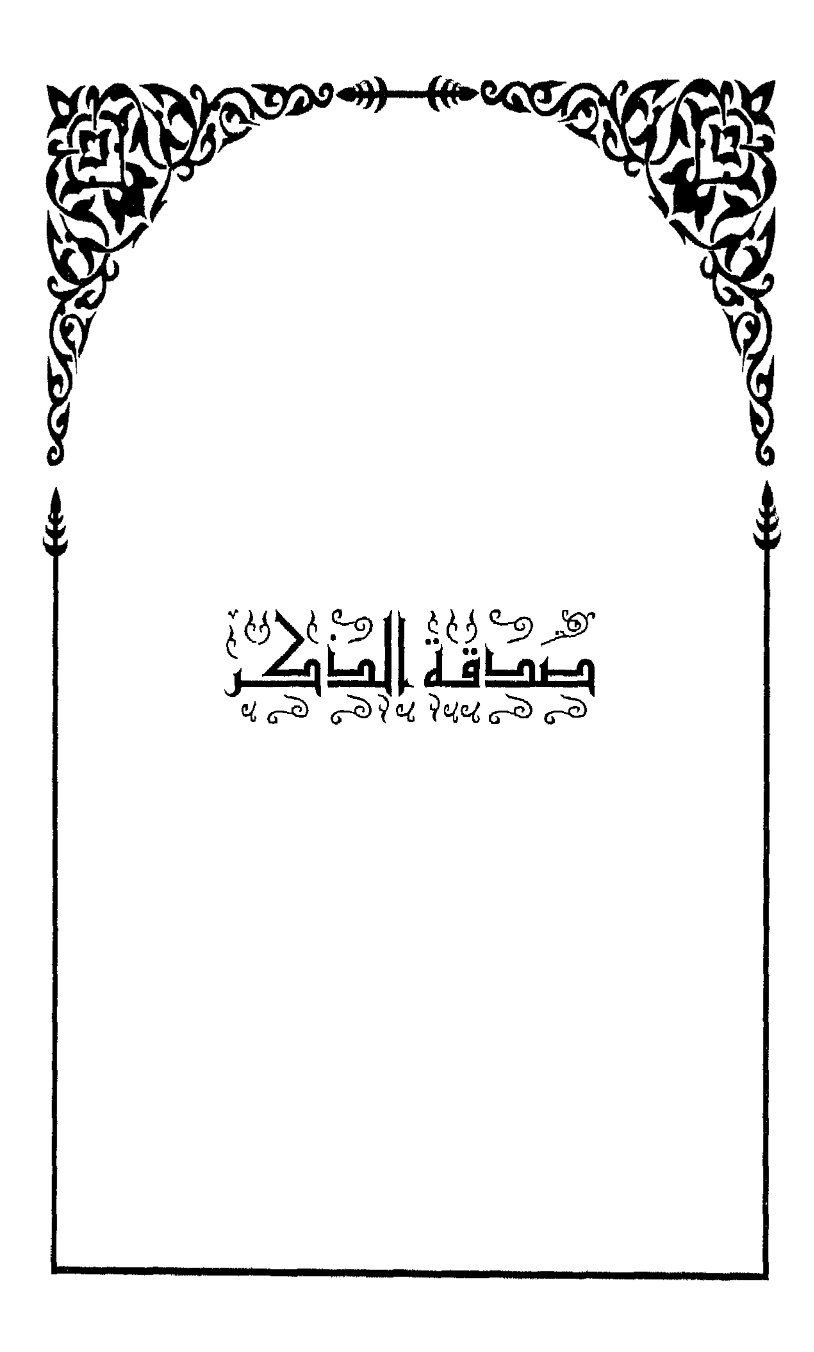
كما أن صدقة المعروف تغاير صدقة المال في كونها لا تبذل للفقراء فقط كصدقة المال وإنما تبذل لجميع الناس الغنى والفقير القوى والضعيف الصالح والطالح فالمعروف لا يخص أحداً دون أحد ولا قوماً دون قوم.

ولذلك فإن صدقة المعروف لا تلتحق بصدقة التطوع التى تعوض صدقة الفرض ـ الزكاة ـ يوم القيامة إن كان فيها خلل أو تقصير، فصدقة المعروف يراد بها شكر اللَّه على عافيته وصدقة المال يراد بها شكر اللَّه على ماله، فافترقتا.



---

(1) المسند ـ بإسناد صحيح رقم 21260.


صدقة الذكر

أولا ـ التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار:

روى مسلم عن أبى ذر أن ناسا من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى ﷺ: يا رسول اللّه ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: أو ليس قد جعل اللّه لكم ما تصدقون به، إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة ... "[1].

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبى ذر أيضاً قال "على كل نفس فى كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه، قلت يا رسول اللّه: من أين أتصدق وليس لنا أموال؟ قال: لأن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واستغفر اللّه ... "[2].

... وقد ورد فضل الذكر فى مواطن كثيرة من كتاب اللّه ومن سنة رسول اللّه ﷺ، يقول تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[3] أى أفضل من كل شئ سواه من الطاعات، وهو المقصود من إقامة الصلاة ومن قراءة القرآن المأمور بها فى صدر الآية[4].

---

(1) مسلم ـ كتاب الزكاة ـ رقم 1006 697/2.
(2) المسند ـ رقم 21376 542/15.
(3) سورة العنكبوت آية 45.
(4) فى قوله تعالى "اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك وأقم الصلاة".. العنكبوت 45.

والعبد الذاكر لربه يتفضل اللّه عليه بذكره سبحانه له، وفى ذكر اللّه للعبد سعة الرحمة وشمول المغفرة وعظيم الأجر والثواب يقول تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ"[1].

وقد صور النبى ﷺ الذاكر والغافل بالحى والميت فيقول "مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت"[2]، وفى رواية "مثل البيت الذى يذكر اللّه فيه والبيت الذى لا يذكر اللّه فيه مثل الحى والميت"[3].

ومما ورد فى فضل الذكر من حديث النبى ﷺ ـ قوله ـ عليه السلام "ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها لدرجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم؟ ذكر اللّه"[4].

وقوله "من قال لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنه، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك"[5].

وقوله: "من قال سبحان اللّه وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"[6].

---

(1) سورة البقرة آية 152.
(2) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ رقم 446 127/1.
(3) مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين ـ رقم 177 539/1.
(4) رواه أحمد بإسناد صحيح ـ رقم 27396 579/18.
(5) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان ـ رقم 1724 173/3.
(6) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان ـ 1725 173/3.

ثانياً ـ قراءة القرآن:

يقول رسول اللَّـه ﷺ "من قرأ حرف من كتاب اللَّـه فله حسنه، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"[1].

. . . وقراءة القرآن من أفضل ما يذكر به اللَّـه تعالى، فالقرآن كتاب اللَّـه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، وأهل القرآن هم أهل اللَّـه وخاصته.

وقد ضرب النبى ﷺ مثلاً للمؤمن القارئ وغير القارئ فقال: "مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو"[2].

كما صور المهاجر للقرآن الذى لا يعى منه شيئا ولا يعمر قلبه بنوره بالبيت الخرب فيقول: "إن الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب"[3].

وقراءة القرآن بتدبر وتفقه وعمل بما فيه ترفع شأن صاحبها وترقيه فى الدنيا والآخرة، كما روى مسلم أن نافع بن الحارث لقى عمر، وكان يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادى؟ قال: ابن

---

(1) الترمذى كتاب الفضائل 175/5 ـ رقم 291.

(2) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان ـ رقم 460 ـ 131/1، والأترجه واحدة الأترج وهو تمر يجمع بين جمال الطعم والرائحة واللون تشبه البطيخ، وجاء فى فتح البارى: "الحكمة فى تخصيص الأترجه بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التى تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة، لأنه يتداوى بقشرها، ويستخرج من حبها دهن لها منافع، وقيل إن الجن لا تقرب البيت الذى فيه الأترج، فناسب أن يمثل به القرآن الذى لا تقربه الشياطين، وغلافه حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن" 684/8.

(3) الترمذى كتاب فضائل القرآن ـ رقم 2913 177/5.

أبزى، قال - أى عمر -: ومن ابن أبزى. قال: مولى من موالينا، قال: اوستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب اللّه عز وجل، وإنه عالم بالفرائض قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: إن اللّه يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين"[1].

وبالنسبة لرقى الآخرة فى درج الجنة يقول النبى ﷺ: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيه تقرأ بها"[2].

ثالثاً - الصلاة على النبى:

يقول رسول اللّه ﷺ: "صلوا على فإنها زكاة لكم"...[3] وقد ورد فضل الصلاة على النبى ﷺ فى القرآن والسنة، وحسبنا أن نذكر أن اللّه أمرنا بالصلاة والسلام على النبى الكريم بعد أن بدأ فى هذا الأمر بذاته تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[4]، والصلاة من اللّه رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره"[5].

وذكر النبى الكريم أن أولى الناس به يوم القيامة أكثرهم صلاة عليه حيث يقول: "أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة"[6].

كما جعل التارك للصلاة عليه بخيلاً شحيحاً فيقول: "البخيل من

---

(1) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ـــ رقم 815 559/1.
(2) الترمذى كتاب فضائل القرآن - رقم 2914 177/5.
(3) رواه الإمام أحمد - رقم 8755 415/8.
(4) سورة الأحزاب آية 56.
(5) تفسير القرطبى 5500/8.
(6) رواه الترمذى - أبواب الصلاة - رقم 484 354/2.

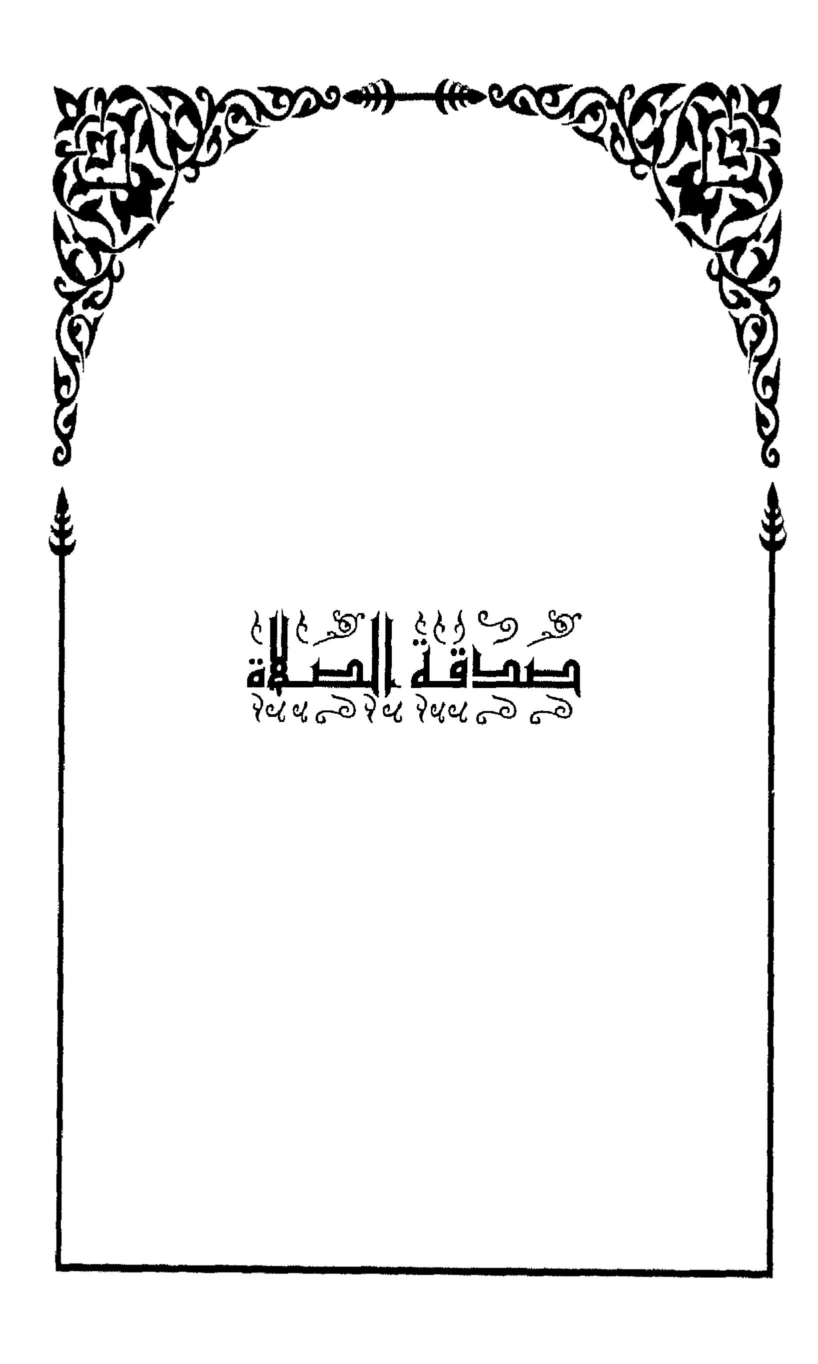
ذكرت عنده فلم يصل على"[1].

والصلاة على النبى جائزة فى كل وقت، بوضوء وبغير وضوء، والوضوء أفضل، ويندب الإكثار منها فى يوم الجمعة لقوله عليه السلام: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فاكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على"[2].

وأصح الصيغ فى الصلاة على النبى الصيغة الإبراهيمية، التى علمها النبى أصحابه عندما سألوه عن كيفية الصلاة عليه فقال: "قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أنك حميد مجيد"[3].



(1) رواه الترمذى كتاب الدعوات ت رقم 3564 551/5.
(2) رواه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة ـ 1085 345/1.
(3) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان ـ رقم 227 76/1.


صفة الصلاة

يقول رسول اللّـه ﷺ: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فله بكل صلاة صدقة ... "[1].

... الصلاة صدقة من العبد على نفسه، يتقرب بها إلى ربه، ويشكره بها على عظيم نعمه وجزيل عطائه.

ومكانة الصلاة فى الإسلام تظهر فى كيفية فرضيتها، حيث فرضت فى السماء فى أعظم رحلة للنبى الكريم ﷺ رحلة الإسراء والمعراج، وبلا واسطة بين اللّـه ورسوله خلاف غيرها من الفرائض.

وتظهر مكانة الصلاة أيضاً فى كونها الفاصل بين الإيمان والكفر، كما قال النبى ﷺ: "بين الكفر والإيمان ترك الصلاة"[2]، الأمر الذى جعل العلماء يحكمون على تاركها بالكفر إن كان جاحداً، وبالفسوق إن كان متكاسلاً.

ويظهر فضل الصلاة كذلك فى كونها أول أسباب النجاح كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[3]، وكونها كذلك آخر وصية لرسول اللّـه ﷺ حيث قال وهو يغرغر بنفسه: "الصلاة وما ملكت أيمانكم"[4].

---

(1) رواه أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ رقم 1286 27/5.
(2) رواه الترمذى ـ كتاب الإيمان ـ رقم 3618 5:13.
(3) سورة المؤمنون 1-2.
(4) ابن ماجة كتاب الوصايا ـ رقم 2697 900/2.

كما نتعرف على مكانة الصلاة من الدين عند ما نجد أن اللّه تعالى يعبر عن الإيمان بالصلاة ويعبر عن الصلاة بالإيمان.

أما التعبير عن الإيمان بالصلاة فى قوله تعالى فيما نزل فى تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[1]، أى صلاتكم نحو بيت المقدس، وجاء التعبير عن الإيمان بالصلاة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[2]. أى المؤمنين.

وتتعلق بالصلاة مجموعة من الأعمال التى تقوم مقام الصدقة وتعوض أجرها، وتتمثل فيما يلى:

أ - المشى إلى الصلاة:

يقول رسول اللّه ﷺ: "وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة"[3].

... فالمشى إلى الصلاة فى بيوت اللّه والسعى إليها استجابة لنداء اللّه تعالى، واتباع لسنة النبى ﷺ: كما يقول ابن مسعود رضى اللّه عنه: "من سره أن يلقى اللّه غدا مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن اللّه شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم"[4].

كما أن السعى إلى المساجد دليل على الإيمان كما يقول النبى ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، قال اللّه عز وجل:

---

(1) سورة البقرة آية 143.
(2) سورة المعارج 19 ـ22.
(3) رواه مسلم ـ كتاب الزكاة ـ رقم 1009 2/999.
(4) مسلم ـ كتاب المساجد ـ رقم 954 1/453.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1].

ولذلك فإن المشى إلى الصلاة فى بيوت اللّه سبب فى رفع الدرجات ومحو الخطايا والذنوب يقول النبى ﷺ: "ألا أدلكم على ما يمحوا اللّه به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول اللّه. قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد" وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"[2].

ب - انتظار الصلاة صلاة:

يقول رسول اللّه ﷺ: "أحدكم ما قعد ينتظر الصلاة فى صلاة، ما لم يُحَدِثْ، تدعو له الملائكة، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه".

ويقول أيضاً: "لا يزال أحدكم فى صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة"[3].

... فالذى ينتظر الصلاة حريص على أدائها فى أوقاتها وفى جماعاتها، يحمل قلبا معلقا بالمساجد وبالصلاة وبذكر اللّه، ومن ثم فإن انتظار الصلاة قربة يؤجر عليها كأجر الصلاة وفى الحديثين المذكورين شرطان فى انتظار الصلاة للحصول على أجر الصلاة:

الأول: الطهارة لقوله عليه السلام "ما لم يحدث" والحدث هنا لا يقتصر على الناقض الذى يفسد الوضوء فحسب، وإنما يشمل كل ما يفسد المجالس من معاص ومخالفات كالسب والشتم والغيبة والنميمة والبطش والأذى وغيرها من آفات اللسان واليد.

والشرط الثانى: أن يكون انتظاره فى المسجد للصلاة فقط لا لغرض

---

(1) الترمذى - كتاب الإيمان - رقم 2617 15/5 - والآية من سورة التوبة آية 18.
(2) مسلم - كتاب الطهارة - رقم 251 219/1.
(3) رواه مسلم، كتاب المساجد رقم 649-1/459

آخر، لقوله عليه السلام "لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة".

فالذى ينتظر الصلاة على الحالين المذكورين يستحق رضاء اللّه وثوابه، ودعاء الملائكة له بالرحمة والمغفرة.

جـ. ختام الصلاة:

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول اللّه ﷺ فقالوا: "ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال: وما ذاك؟ فقالوا: يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول اللّه ﷺ: أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة، فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول اللّه ﷺ فقالوا سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟ فقال رسول ﷺ: "ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء"[(1)].

... ختام الصلاة من تمام الصلاة ومن أسباب قبولها، ومن علامات محبة العبد ربه، ورغبته فى الأنس به وبذكره تعالى والثناء عليه، وكذلك فيه معالجة لما قد يحدث فى الصلاة من تقصير ظاهراً أو باطناً.

وإتماما للفائدة سنشير هنا إلى بعض الروايات الصحيحة الواردة فى ختام الصلاة إضافة إلى الحديث المذكور:

- عن ثوبان مولى النبى ﷺ: كان رسول ﷺ إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثا، وقال: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام"، وقيل للأوزاعى وهو أحد رواه الحديث كيف الاستغفار؟ قال:

---

(1) رواه مسلم - كتاب المساجد - رقم 595 1/417.

تقول استغفر الله، استغفر الله"[1].

ـــ عن معاذ بن جبل أن رسول ﷺ أخذ بيده وقال: "يا معاذ إنــي لأحبك فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك، قال: أوصيك يا معاذ: لا تدع فى دبر كل صلاة أن تقول: "اللهم أعنـــي علـــي ذكـــرك وشكرك وحسن عبادتك"[2].

ـــ وعن المغيرة بن شعبة أن رسول ﷺ كـــان إذا فــرغ مـــن الصلاة وسلم قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمــد، وهو على كل شئ قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعـــت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد"[3].

وعن سعد بن أبى وقاص أن رسول ﷺ كان يتعوذ دبـــر كــل صلاة بقوله: "اللهم إنى أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعـوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك مـــن عذاب القبر"[4].

فختام الصلاة على النهج الذى وضحه رسول ﷺ مـــن أعظـم القربات إلى الله تعالى، وسبب إلى مغفرة الذنوب والخطايا، ولذلك ينبغـــي على المسلم ألا يقصر فيه بتركه أو الابتعاع فيه، فيفوت على نفسه الأجــر العظيم، ويقول النبى الكريم: من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثيـن، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلـــك تســعة وتســعون،

---

(1) رواه مسلم ـــ كتاب المساجد ـــ رقم 591 414/1.

(2) المسند رقم 22018 ـــ 204/16، وأبو داود كتاب الصلاة ـــ رقم 1522 ـــ 87/2.

(3) متفق عليه ـــ اللؤلؤ والمرجان ـــ رقم 347 103/1، ومعنى لا ينفع ذا الجـــد منـــك الجد: أى لا ينفع ذا الغنى عندك غناه وإنما ينفعه الإيمان والعمل الصالح بطـــاعتك، والجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى والسلطان.

(4) رواه البخارى ـــ كتاب الدعوات ـــ رقم 6365 فتح 178/11.

وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"[1].

د. الصدقة على المنفرد:

عن أبى سعيد أن رجلاً جاء وقد صلى النبى ﷺ فقال: ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه"[2].

... ومن الحديث يظهر حرص النبى الكريم على أمته، حيث لا يريد لذلك المصلى أن يفوته ثواب صلاة الجماعة، التى تفضل صلاة الفذ – الفرد – بسبع وعشرين درجة[3] وفيه أيضاً يظهر حرص النبى الكريم على صلاة الجماعة، والتى بلغ حثه عليها أن يرفض الترخيص لصاحبه الأعمى عبد الله بن أم مكتوم بالصلاة فى البيت عندما قال له: "يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع، فقال رسول الله ﷺ تسمع حى على الصلاة، حى على الفلاح، فحيهلا"[4].

هـ. التبكير إلى الجمعة:

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنه، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقره، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة

---

(1) رواه مسلم ـ كتاب المساجد ـ رقم 597 ـ 418/1، وزبد البحر هو ما يعلو على وجهه عند هيجانه وتموجه، والمعنى: إن كانت الخطايا والذنوب فى كثرتها وعظمتها مثل زبد البحر.

(2) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح ـ رقم 22089 230/16.

(3) ورد ذلك فى حديث صحيح متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان ـ رقم 381 112/1.

(4) رواه أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ رقم 149/5601، والهوام خشاش الأرض كالأفعى والعقرب/ وحيهلا أى تعال.

فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر"[1].

وفى رواية أخرى أن رسول اللّه ﷺ قال:إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم الأول فالأول، فإذا خرج الإمام طووا الصحف واستمعوا الخطبة، فالمهجر إلى الصلاة كالمهدى بدنه، ثم الذى يليه كمهدى بقره، ثم الذى يليه كمهدى كبش حتى ذكر الدجاجة والبيضة.

وزاد سهل (ابن أبى سهل من رواة الحديث) فى حديثه: "فمن جاء بعد ذلك فإنما يجيئ بحق إلى الصلاة"[2].

وروى أيضاً عن النبى ﷺ أنه قال: "من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها"[3].

و ـ صلاة الضحى:

يقول رسول اللّه ﷺ: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكلم تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة

---

(1) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان ـ رقم 493 140/1- و "قرب بدنه" أى تصدق بها متقربا إلى اللّه، والبدنه واحدة البدن وهى الإبل، و "خرج الإمام" أى صعد المنبر وجلس عليه استعداداً للخطبة.

(2) رواه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة ـ رقم 21093 347/1، والمهجر اسم فاعل من التهجير أى المبادر إلى الجمعة بعد الصبح، وقيل بل فى قرب الهاجرة فى نصف النهار، والمهدى "أى المتصدق.

(3) رواه الترمذى ـ فضل الغسل يوم الجمعة ـ رقم 496 368/2، والمسند رقم 16118 477/12 وغسل روى بالتشديد والتخفيف، وقيل أى جامع امرأته قبل الخروج للصلاة لأنه أغض للبصر من غسل امرأته وغسلها إذا جامعها، وقيل توضأ للصلاة فغسل جوارح الوضوء، وثقل لأنه أراد غسلا بعد غسل، وقيل أراد غسل غيره واغتسل هو لأنه إذا جامع زوجته أحوجها إلى الغسل، وبكر" أتى الصلاة فى أول وقتها، وابتكر" أى أدرك أول الخطبة وأول كل شئ باكورته.

صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما فى الضحى"[1].

وفى رواية أخرى: "فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، عليه ان يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، قالوا فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: النخامة فى المسجد يدفنها، أو الشئ ينحيه عن الطريق، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزى عنه"[2].

... صلاة الضحى عبادة مستحبة يتقرب بها المؤمن إلى ربه عز وجل، تجعله ذاكرا لربه فى جل أوقات يومه لتشمله رعاية الله وحفظه، فيقترب من الطاعات ويبتعد عن المعاصى.

وهى عبادة عظيمة النفع عميمة الفضل، تفضل الكثير من أنواع الطاعات، ويكفى أنها تجزئ عن ثلاثمائة وستين صدقة على الإنسان أن يخرجها عن أعضائه.

يقول الشوكانى معلقا على الحديثين المذكورين: "والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وكبر موقعها، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة، ويدلان أيضاً على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ودفن النخامة وتنحية ما يؤذى المارة عن الطريق وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة فى كل يوم"[3].

أمّا وقتها فيبدأ بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهى حين الزوال

---

(1) مسلم ــ كتاب صلاة المسافرين ــ رقم 720 499/1.
(2) رواه أبو داود كتاب الأدب ــ رقم 5242 363/4.
(3) نيل الأوطار 60/3.

ولكن المستحب أن تؤخر إلى ارتفاع الشمس ويشتد الحر، فعن زيد بن أرقم قال: خرج النبى ﷺ على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال: صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى[1].

وأما ركعاتها فأقلها اثنتان كما تقدم فى الحديث، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله ﷺ ثمانى ركعات، وأكثر ما ثبت من قوله "اثنتا عشرة ركعة"[2].

ز. الصلاة على الجنازة وتشييعها:

يقول رسول الله ﷺ: "من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين"[3].

وفى رواية أخرى "من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا فصلى عليها وأقام حتى تدفن رجع بقيراطين من الأجر، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ورجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط"[4].

... المقصود من صلاة الجنازة وتشييعها ثلاثة أمور:

الأول: قضاء حق المسلم لقول النبى ﷺ: "حق المسلم على المسلم خمس: "رد السلام، وعيادة المريض واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"[5].

الثانى: الاعتبار والعظة وتذكر الآخرة التى إليها مصائر الناس جميعاً،

---

(1) رواه أحمد ــ رقم 16161 424/14، ورمضت الفصال أى احترقت، والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة، والمراد أنها تجد حر الشمس ويكون ذلك عند ارتفاعها..

(2) انظر فقه السنة ــ الشيخ سيد سابق 194/1.

(3) متفق عليه ــ اللؤلؤ والمرجان ــ رقم 551 164/1.

(4) رواه أحمد بإسناد صحيح ــ رقم 1595.

(5) متفق عليه ــ اللؤلؤ والمرجان ــ رقم 1397 43/3.

ومن هنا ندرك الحكمة من أمر النبى ﷺ: "أكثروا ذكر هازم اللذات: يعنى الموت"[1]، وذلك حتى نتذكر معادنا فنتقرب من طاعة اللّه، وحتى تستهين الدنيا فى قلوبنا، ونحتقرها كما يحتقرها خالقها كما قال عليه السلام: "لو كانت الدنيا تعدل عند اللّه جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعة ماء"[2].

وكذلك حتى نطمئن إلى الأقدار التى نراها فى غير صالحنا، فيستهين كل ما يصيبنا من مكروه عندما نعلم أن ما نعيشه أيام وساعات، الأولى أن تقضى فى طاعة اللّه ومرضاته.

الثالث: حصول الأجر المذكور، وهو على الرغم من عظمته إلا أن كثيراً من الناس يغفلون عنه ويكتفون بتقديم التعزية لأهل الميت، مضيعين على أنفسهم ذلك الأجر العظيم، وقد ذكر أن ابن عمر رضى اللّه عنهما كان يصلى على الجنازة ثم ينصرف، فلما بلغه حديث أبى هريرة ـ المتقدم ذكره بصدر الباب الرواية الأولى ـ أرسل إلى عائشة رضى اللّه عنها يسألها عن قول أبى هريرة ـ وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها فى يده حتى رجع إليه الرسول فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فضرب ابن عمر بالحصى الذى كان فى يده الأرض ثم قال: لقد فرطنا فى قراريط كثيرة"[3].

م ـ نظافة المسجد:

عن عبد اللّه بن بريده قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: "فى

---

(1) رواه الترمذى ـ كتاب الزهد ـ رقم 2308 553/4 ـ وابن حاجه كتاب الزهد ـ رقم 4258 1422/2.

(2) رواه الترمذى ـ كتاب الزهد ـ رقم 2320 560/4.

(3) رواه مسلم ـ كتاب الجنائز ـ رقم 945 653/2.

الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة، قالوا: ومن يطيق ذلك يا نبى اللّه؟ قال: النخامة فى المسجد تدفنها....."[1].

• • • فى الحديث حث على نظافة المساجد، وتطهيرها من القاذورات والنجاسات التى قد تصيبها، حتى تليق بمن تنسب إليه سبحانه، وبما وضعت له.

ومن وسائل تحقيق نظافة المساجد ما يلى:

1. تطهيرها من النجاسات والأقذار:

عن أنس بن مالك قال: "بينما نحن فى المسجد مع رسول اللّه ﷺ إذ جاءه أعرابى، فقام يبول فى المسجد، فقال أصحاب رسول اللّه ﷺ: مه. مه فقال رسول اللّه ﷺ: لا تزرموه، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول اللّه دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشئ من هذا البول ولا القذر إنما هو لذكر اللّه عز وجل والصلاة وقراءة القرآن، ثم أمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه"[2].

2. تنظيفها وتطييبها:

عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ: "عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد"[3].

---

(1) سبق تخريجه، وفى رواية الإمام أحمد (22894) بلفظ النخاعة، والنمامة والنخامه بمعنى وهو البلغم الذى يلفظه الإنسان من حلقه.

(2) رواه مسلم - كتاب الطهارة - رقم 285 273/1 مه مه: اسم فعل أمر بمعنى كف، ولا تزرموه: أى لا تقطعوا عليه بوله من رزم البول إذا انقطع، وشنه عليه أى صبه عليه.

(3) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 461 123/1، والقذاة الوحدة من التبن والتراب وغير ذلك، جمعها قذى.

وعن عائشة أن النبى ﷺ أمر ببناء المساجد فى الدور وأمر بها أن تنظف وتطيب[1].

3. دخول المساجد بوقار وسكينة يتناسبان مع قدسية المكان:

عن أبى قتاده قال: "بينما نحن نصلى مع النبى ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال:ما شأنكم؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"[2].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: "إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا، وما أدرتكم فصلوا وما فاتكم فاقضوا"[3].

4. صيانة المساجد من الروائح الكريهة:

عن جابر أن النبى ﷺ قال: "من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"[4].

5. إبعاد الصبية والمجانين عن المساجد:

لما قد يترتب على دخولهم من أذى يلحق بالمسجد والمصلين عن واثله بن الأسقع أن النبى ﷺ قال: "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم"[5].

---

(1) رواه أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ رقم 455 122/1، وفى المسند ـ رقم 26264 210/18.

(2) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان ـ رقم 351 104/1.

(3) رواه أحمد ـ رقم 10837 594/9.

(4) رواه مسلم ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم 564 395/1.

(5) رواه ابن ماجة كتاب المساجد والجماعات ـ رقم 750 247/1.

6. عدم البيع والشراء في المساجد:

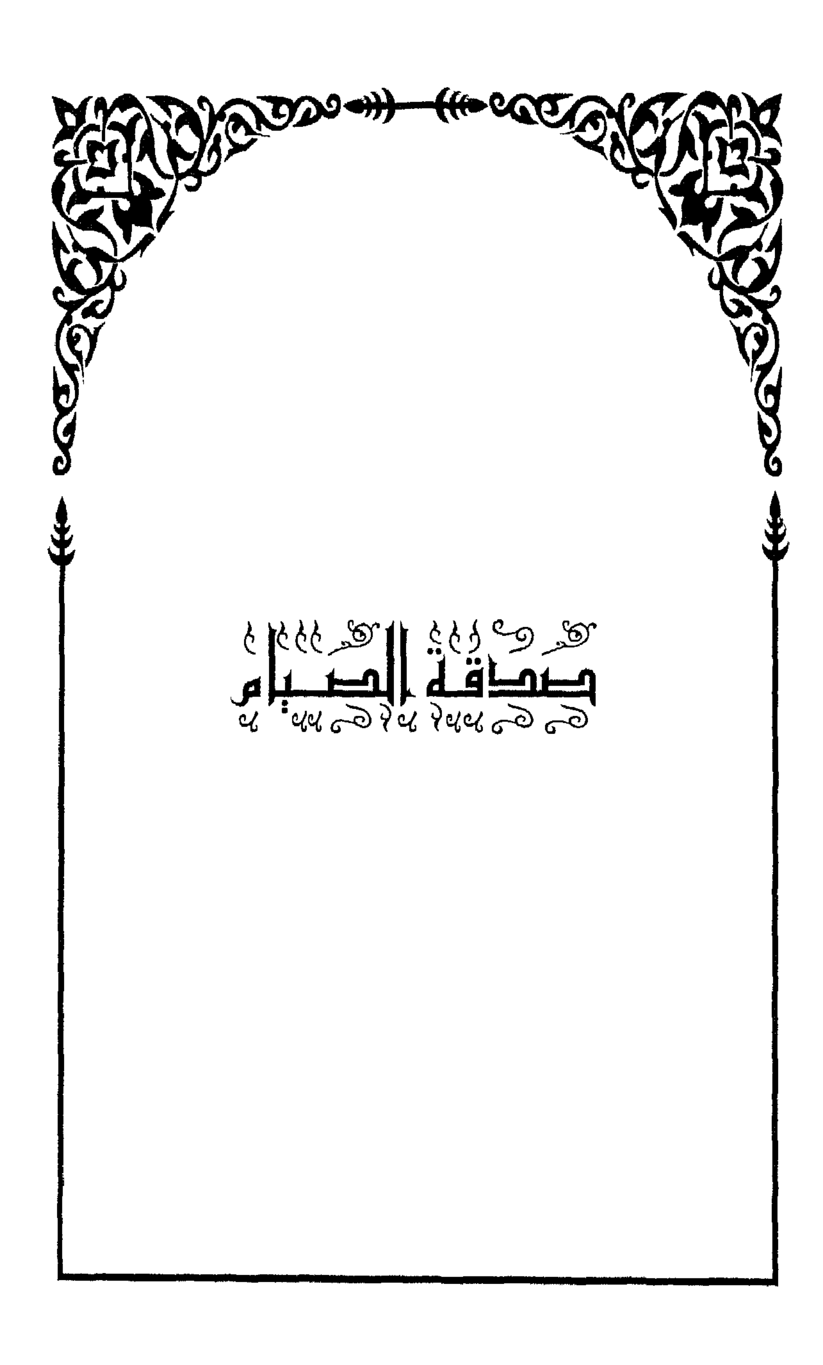
عن أبى هريرة رضى اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: "إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا: لا أربح اللَّه تجارتك"[1].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: "نهى رسول اللَّه ﷺ عن البيع والاشتراء فى المسجد"[2].



(1) رواه الترمذى كتاب البيوع - رقم 1321 601/3.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح - رقم 6991 435/6، والترمذى - أبواب الصلاة - رقم 322 139/2.



صدقة الصيام

يقول رسول اللّه ﷺ: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فله بكل صلاة صدقة، وصيام صدقة .... "[1].

... الصوم كذلك صدقة من العبد على نفسه، يتقرب بها إلى اللّه، ليشكره على نعمه العظيمة التى لا تحصى، ومن أجلها نعمة العافية، فالصائم يخرج زكاة جسده بصومه، ليعبر به عن شكره لخالقه تعالى، يقول النبى الكريم ﷺ: "لكل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم"[2]، فجسد الصائم يقل ويضعف وينتقص فى سبيل اللّه فكأن ما قل منه أو نقص أخرجه الصائم زكاة لجسده.

والصوم عبادة لا يشوبها رياء ولا نفاق، لأنها سر بين العبد وربه، وأمانة بين المخلوق وخالقه، ولا يطلع عليها إلا اللّه، ولا يعلم ثوابها ولا جزاءها إلا اللّه وحده، حيث اختص اللّه تعالى هذه العبادة من بين سائر العبادات لنفسه وأسندها إلى ذاته، يقول رسول اللّه ﷺ: "قال اللّه عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به"[3]، وفى رواية: يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى، الصيام لى وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها"[4].

---

(1) رواه أبو داود - كتاب الصلاة - رقم 1286 - 27/2.
(2) رواه ابن ماجة - كتاب الصيام - رقم 1745 - 555/1.
(3) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان رقم 707 - 17/2.
(4) رواه البخارى - كتاب الصوم رقم 1894 - /25 فتح.

والغاية من الصوم واضحة فى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

فالتقوى مقصود الصيام وغايته، وهى كلمة جامعة لكل خصال الخير والمعروف والإحسان، وهى التى تجعل الإنسان موصولا بربه، متعلقاً بمنهجه، يرى النجاة فى اتباعه والهلاك فى تركه ونسيانه، فالصوم مقرب إلى التقوى معين عليها، مبعد عن المعاصى مضعف للشهوات، ولذلك فإن النبى ﷺ ينصح به الشباب قائلاً: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[2].

والصوم مدرسة تهذب النفوس وتربيها على الخير والصلاح، وتسمو بها فوق شهواتها ونزواتها ليرتقى الصائم إلى عالم الملائكة ويتشبه بهم وبصفاتهم، فلا يأكل ولا يشرب ولا يعصى، إنما أمره السمع والطاعة لأوامر اللّه ورسوله، عاملاً بنصيحة النبى الكريم فى قوله: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى أمرؤ صائم"[3].

كما أن الصوم يخلق جيلاً من الشباب المسلم يكون قادراً على تحمل المسؤوليات المنوطة بهم نحو أوطانهم وما يواجهها من مخاطر فى أوقات شدتها ورخائها، وذلك أن الصوم يغرس داخل المسلم خلقين عظيمين يعدان زاد كل أمة فى طريق مجدها وسلاحها فى تحقيق آمالها

---

(1) سورة البقرة آية 183.

(2) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 844 71/2.

(3) رواه البخارى - كتاب الصوم - رقم 194 141/4 فتح.

وهذان الخلقان هما:

الإرادة القوية التى تكبح جماع النفس وشهواتها.

والصبر الذى يبلغ الآمال ويحقق الطموحات.

ولن تستطيع أمة أن تصل إلى ما تريد من مجد ورقى وازدهار، إلا إذا كان أبناؤها متمتعين بهذه الأخلاق العظيمة التى تأتى نتيجة لهذه الفريضة الجليلة : الصوم.

ولما كان الصوم يحمل كل هذه الغايات النبيلة والأهداف والحكم السامية فإن رسول اللّه ﷺ يفتح مجال الصوم لأمته، ولا يغلق بابه على شهر رمضان فحسب، وإنما يدعو أمته أن يستزيدوا ويتزودوا من هذا النبع الإيمانى والسلاح الروحى الذى يحفظ الإنسان من براثن الشيطان، فيدعو عليه السلام أمته إلى التطوع بالصيام حتى لا يحرموا أنفسهم نفعا عظيماً وخيراً عميماً يعود عليهم فى دنياهم وأخراهم.

ومن صيام التطوع الذى وجه إليه النبى الكريم:

1. صوم ستة أيام من شوال:

لقوله ﷺ: "من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر"[1].

2. صوم يوم عرفة لغير الحاج، وهو التاسع من ذى الحجة:

لقوله ﷺ: "صيام يوم عرفه أحتسب على اللّه أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده"[2].

---

(1) رواه مسلم كتاب الصيام - رقم 1164 822/2.

(2) رواه مسلم كتاب الصيام - رقم 196 818/2.

3. صوم يوم عاشوراء وهو العاشر من شهر المحرم:

لقوله ﷺ: "صيام يوم عاشوراء أحتسب على اللَّه أن يكفر السنة التى قبله"[1].

4. صوم الأيام البيض من كل شهر وهى الثالث والرابع عشر والخامس عشر:

لقوله ﷺ: "إذا صمت من الشهر ثلاث فصم ثلاث عشر وأربع عشر وخمس عشر"[2].

5. صوم يومي الاثنين والخميس:

لقوله ﷺ: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم"[3].

حج وعمرة الفقير

يقول رسول اللَّه ﷺ: "من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين"[4].

ويقول أيضاً: "من صلى الصبح فى جماعة، ثم قعد يذكر اللَّه حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كانت له أجر حجة وعمرة، قال

---

(1) رواه مسلم كتاب الصيام ـ رقم 196 818/2.
(2) رواه الترمذى كتاب الصوم ـ رقم 761 124/3.
(3) رواه الترمذى كتاب الصوم ـ رقم 747 113/3.
(4) رواه أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ رقم 558 ـ 150/1.

رسول اللّه ﷺ: تامة،تامة، تامة"[1].

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: أتى رجل رسول اللّه ﷺ فقال: "إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه، وقال: هل بقى من والديك أحد؟ قال أمى، قال: قابل اللّه فى برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد"[2].

ويقول ﷺ: "عمرة فى رمضان تعدل حجة"[3].

••• الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، يقول النبى ﷺ: "بنى الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً"[4].

وقد فرضه اللّه تعالى مرة فى العمر، يقول النبى راداً على من سأله عن تعدد الحج: "بل مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع"[5].

ورغم أن هذه الفريضة العظيمة تجب مرة واحدة فى حياة المسلم، إلا أنها لم تفرض على عموم المسلمين، وإنما على من يستطيع نفقاتها، ويقدر على أدائها يقول تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[6].

فالفقير الذى لا يجد نفقة حجه قد سقطت عنه هذه الفريضة، ولكن ثوابها لم يسقط عنه، فقد هيأ النبى ﷺ للفقير - وغيره - أعمالاً يقوم بها دون كثير مشقة تعوضه ثواب الحج والعمرة المتقبلين بتمامهما معاً.

---

(1) رواه الترمذى - أبواب الصلاة - رقم 586 - 481/2.
(2) رواه أبو يعلى والطبرانى فى الصغير والأوسط.
(3) رواه ابن ماجة - كتاب المناسك - رقم 2991 966/2.
(4) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 9 61/1.
(5) رواه أبو دواد - كتاب المناسك - رقم 586 481/2.
(6) سورة آل عمران آية 97.

ومن هذه الأعمال التى تمنح الفقير ثواب الحج والعمرة دون أن تكبده مشاق الحج، حضوره الجماعات والجمعات، وكذلك مكوثه فى المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ويصلى الضحى وكذلك بر الوالدين، والذى جعله اللَّه تعالى من أعظم القربات إليه وإلى رحمته ورضوانه.

فكل هذه الأعمال يثاب فاعلها بثواب الحج والعمرة المقبولين، غير أنها لا تسقط فريضة الحج على المستطيع، فالحج ركن من أركان الإسلام، يأثم القادر عليه بتركه، ويكون إسلامه ناقصاً غير مكتمل.

وإذا استطاع الفقير أن يقوم بأداء مناسك العمرة دون فريضة الحج، فإن النبى الكريم يوجه إليه نصيحة غالية بأن يجعل عمرته فى رمضان لأن العمرة فى رمضان تعدل حجة فى الأجر والثواب، وفى بعض الروايات أنها تعدل حجة مع النبى ﷺ.

صدقة الكلمة الطيبة

يقول رسول اللَّه ﷺ: "والكلمة الطيبة صدقة"[1].

... الكلمة الطيبة صدقة لأنها تدخل السعادة والسرور فى قلب الإنسان الذى يتلقاها مثلما تفعل صدقة المال بآخذها، فالأثر الناجم عنهما واحد، وهو السعادة التى تغمر قلب المتلقى لهما.

بل ربما كانت الكلمة الطيبة أعمق أثرا فى نفس المتلقى من صدقة المال، وذلك أن الكلمة الطيبة لا تترك فى نفس سامعها شعوراً

---

(1) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان - رقم 591 177/1.

بالنقص أو الضعف، هذا الشعور الذى قد يسيطر على أخذ صدقة المال، وخصوصاً إذا كان المعطى لها غير مخلص فى إخراجها، ولا يرعى مشاعر الفقير، فلا يشغله إلا السمعة والرياء، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾[1].

وما أبدع تصوير القرآن الكريم للكلمة الطيبة، عندما صورها بشجرة طيبة ممتدة الجذور عظيمة الثمار، دائمة النفع والعطاء يقول اللّه تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

تلك هى الكلمة الطيبة وذلك هو أثرها العظيم على الفرد والجماعة. فهى كلمة "أصلها ثابت" قوية راسخة لا يطيح بها الباطل ولو كان قوياً عاتياً "فرعها فى السماء" فهى عظيمة النفع والخير لا يؤثر فى نفعها الباطل مهما كان ارتفاعه وعلوه "تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها" فهى دائمة النفع والخير والعطاء على صاحبها وسامعها فى الدنيا والآخرة.

ولذلك فإن الكلمة الطيبة من أسباب النجاة من النار والوقاية منها، يقول النبى ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة"[3].

ومن الكلام الطيب الذى ينبغى أن يحرص عليه المسلم لجليل نفعه عليه وعلى أفراد مجتمعه، وفى نفس الوقت يكون من صدقاته على نفسه:

1ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

---

(1) سورة البقرة آية 263.
(2) سورة إبراهيم آية 24.
(3) رواه مسلم ـ كتاب الزكاة ـ رقم 1016 704/2.

2ـ الإصلاح بين الناس.

3ـ إفشاء السلام.

أ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول رسول اللّه ﷺ: "وأمر بمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة"[1].

... الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الواجبات التى كلف بها المسلم حفاظاً على المجتمع من الفساد والرذيلة، فالمسلم كما هو مسؤول عن إصلاح نفسه فهو كذلك مسؤول عن إصلاح مجتمعه الذى هو عضو من أعضائه ولبنة فى بنائه.

فالمجتمع المسلم ينبغى أن يكون مجتمعاً طاهراً نقيا سليماً من الآفات والأمراض التى تمزق أواصر المجتمع وتصدع بنيانه، ولن تتأتى سلامة هذا المجتمع إلا بنشر المعروف والعمل به والدعوة إليه، وكذلك الوقوف فى وجه المنكر لحماية المجتمع من ويلات الشر ومهاوى الرذيلة، ليكون مجتمعاً سوياً فاضلاً، تسود فيه الفضيلة، ويرتفع فيه لواء الحق والخير والعدل.

فالوقوف فى وجه الأشرار ـ مرتكبى المنكر ـ ضرورة تحتمها مصلحة المجتمع المسلم حتى لا يقع فريسة لشرذمة من الناس لا يتورعون من الفواحش والمنكرات، والسكوت عنهم والرضا عن صنيعهم مشاركة لهم فى آثامهم وأوزارهم، كما أنه سبب لغضب اللّه وسخطه، وعدم إجابته دعاء الصالحين، يقول رسول اللّه ﷺ: "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن اللّه أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم

---

(1) رواه مسلم ـ كتاب الزكاة ـ رقم 1005 697/2.

لتدعونه فلا يستجيب لكم"[1].

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر درجات بتفاوت طاقات الأشخاص ومدى قدراتهم على تغيير المنكر، وقد وضح النبى الكريم ﷺ هذه الدرجات بقوله: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[2].

وفى هذا الحديث بيان لمنهج الإسلام فى تغيير المنكر وإزالته، ويتمثل هذا المنهج فى الخطوات التالية:

الأولى: معرفة كل مسلم بوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل فرد من أفراد هذه الأمة.

الثانية: التأكد من وقوع المنكر، فلا يلتفت إلى مجرد الظن أو الشك أو السماع، فقوله "من رأى" أى من تأكد من وقوعه.

الثالثة: استعمال الوسيلة المناسبة لتغيير المنكر والتى تتناسب مع الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر، كما أنها تتناسب مع طبيعة المنكر ومرتكبه، وهذا يتطلب أن يكون القائم بهذه المهمة مؤهلاً لها بآداب وأخلاق، تهئ له التوفيق بإذنه تعالى.

وما ينبغى أن يشار إليه أن درجات التغيير الثلاث المذكورة ـ اليد واللسان والقلب ـ جميعها من خصال الإيمان، وكل درجة لها دورها وأثرها الفعال فى تغيير المنكر، وإذا كان التغيير باليد ـ القوة ـ والتغيير باللسان ـ التوجيه والإرشاد ـ قد يؤديان إلى نتيجة سريعة فى إزالة المنكر، فإن التغيير بالقلب أيضاً له دوره فى تغيير المنكر عندما يجد مرتكبه أن

---

(1) رواه البيهقى فى السنن الكبرى 93/10، وهو فى الترغيب والترهيب 227/3 ـ رقم 13.

(2) مسلم كتاب الإيمان ـ رقم 49 69/1.

كل من حوله معرض عنه منكر لفعله مبغض لخلقه، فيرتدع عن إثمه وينتهي عن جرمه.

وحتى يحقق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثماره المرجوة، لابد وأن يتحلى القائم به بالآداب التالية:

1- العلم:

أي يعلم أن ما يأمر به ويدعو إليه معروف حث عليه الشرع، وأن ما ينهى عنه وينفر منه منكر يرفضه الشرع وينكره.

2- الرفق:

أي يكون رفيقاً حليما في أمره ونهيه، حتى لا يؤدي تغيير المنكر إلى مفسدة أشد منه يقول تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1].

3- الحكمة:

أي يختار الوقت المناسب والقول المناسب لمن يأمرهم وينهاهم ليستجيبوا لدعوته، لقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

4- الورع:

فلا يخالف فعله قوله في أمره ونهيه، فيأتمر بما يأمر وينتهي عما ينهى حتى يكون لدعوته أثر في نفوس من يأمرهم وينهاهم وحتى لا يقع في وعيد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

---

(1) سورة طه آية 44.

(2) سورة النحل آية 135.

(3) سورة الصف آية 2،3.

5. الصبر:

فلا يتعجل ثمار عمله، بل يصبر ويحتسب، وبقدر صبره واحتماله يكون أجره يقول تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1].

ب ـ الإصلاح بين الناس:

يقول رسول اللّه ﷺ: "كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة .... "[2].

... الإصلاح بين الناس واجب على المسلمين، حيث أمر اللّه به فى أكثر من موضع فى كتابه الكريم، يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[3]. ويقول أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

ويلحظ فى الآيتين الكريمتين أن الإصلاح مرتبط بالتقوى، وفى ذلك أشار إلى أن الإصلاح بين الناس من آثار التقوى، وهو خلق لا يصدر إلا عن تقى يعرف حق اللّه وحق العباد عليه، كما يعلم أن أفضل صدقة وأنفع هدية يقدمها للمتخاصمين هى الإصلاح والتوفيق بينهما.

وجاء أمر اللّه بإصلاح ذات البين لأن الخصومة هى سبيل الشيطان إلى القلوب، فيملأها حقداً وحسداً، لتنتشر العداوة والبغضاء بين الناس، ليعيشوا فى تناحر مستمر يبعدهم عن طاعة اللّه تعالى، وذلك هو مراد الشيطان، يقول النبى ﷺ: "إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون

---

(1) سورة لقمان آية 17.
(2) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان ـ رقم 590 177/1.
(3) سورة الأنفال آية 1.
(4) سورة الحجرات آية 10.

فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم"[1].

ولذلك فإن عمر يوصى أبا موسى رضى اللّه عنهما بعدم فض المشاكل عن طريق القضاء وأن يجعل للصلح موضعاً فيقول: "رد الخصوم حتى يصطلحوا، فإن القضاء يورث بينهم الضغائن".

ولما كانت الخصومة سبباً فى نشر العداوة والبغضاء بين المسلمين، الأمر الذى يؤدى إلى تفرقهم وتفككهم وإضعافهم فإن رسول اللّه ﷺ ينهى عنها ويحذر منها.

فيقول: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام"[2].

ويقول أيضاً: "تعرض الأعمال فى كل يوم خميس واثنين فيغفر اللّه فى ذلك اليوم لكل أمرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرءً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا"[3].

كما يجعل عليه السلام ـ الهجرة والخصومة سبباً فى دخول النار فيقول: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار"[4]، بل ويجعل عليه السلام ـ المهاجر لأخيه سنة كقاتله فيقول: "من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه"[5].

ومن هنا تظهر قيمة الإصلاح بين الناس وفضله وأثره على الفرد والمجتمع لإزالة البغضاء والشحناء من قلوب المسلمين، ولذا فإن النبى

---

(1) رواه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين ـ رقم 2812 2166/4، والتحريش الإفساد.
(2) رواه مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ رقم 2560 1984/4.
(3) رواه مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ رقم 2565 1987/2، واركوا أى أخروا.
(4) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ رقم 4914 281/4.
(5) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ رقم 4915 281/4.

عليه السلام يجعل الإصلاح يفوق درجة الصلاة والصيام والصدقة. فيقول: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا. بلى قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة"[1].

كما يرخص عليه السلام للمصلح بالكذب إذا لم يجد سبيلاً للإصلاح إلا به، فيقول: "ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً"[2].

وما ينبغى أن يشار إليه هنا أن الإصلاح بين المتخاصمين يجب أن يكون قائماً على العدل فلا يكون لصالح طرف على حساب طرف آخر، يقول اللّه تعالى: ﴿فَأَصلِحُوا بَينَهُمَا بِالعَدلِ وَأَقسِطُوا﴾[3]، وكذلك فى قول النبى ﷺ المذكور آنفا "تعدل بين الاثنين" أى تصلح بينهما بالعدل، لأن الصلح لو تم بغبن أحد الطرفين لبقيت القلوب على نفورها وشحنائها لعدم تحقيق العدالة بينهم.

وقد أورد البخارى فى صحيحة بابا بعنوان: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، وروى فيه عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى رضى اللّه عنهما أن إعرابياً جاء إلى رسول اللّه ﷺ، فقال: "يا رسول اللّه اقض بيننا بكتاب اللّه، فقال الإعرابى، إن ابنى كان عسيفا"[4]،على هذا فزنى بامرأته فقالوا لى: على ابنك الرجم، ففديت ابنى منه بمائة من الغنم ووليدة، ثم سألت أهل العلم فقالوا: إنما على ابنك جلد مائه وتغريب عام، فقال النبى ﷺ: لأقضين بينكما بكتاب اللّه، أما الوليدة

---

(1) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ رقم 1919 /282/4.
(2) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان ـ رقم 1674 152/2، وينمى أى يبلغ خيراً.
(3) سورة الحجرات آية 9.
(4)عسيفا: أى أجيراً.

والغنم فرد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتعذيب عام، أما أنت يا أنيس – لرجل – فاغد على امرأة هذا فارجمها، فغدا عليها أنيس فرجمها".

جـ. إفشاء السلام:

يقول رسول الله ﷺ: "على كل سلامى من ابن آدم صدقة حين يصبح" فشق على المسلمين. فقال رسول الله ﷺ: " إن سلامك على عباد الله صدقة" وفى رواية "وتسليمك على الناس صدقة"[1].

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنهما قال: "جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس فقال النبى ﷺ: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فرد عليه فجلس فقال: عشرون. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فرد عليه فجلس فقال: ثلاثون"[2].

... سلام المسلم على المسلم طريق إلى المحبة والوداد، وسبب لائتلاف القلوب وتوحدها وسبيل إلى إدخال السرور فى قلوب المسلمين، فالباذل للسلام، والمكثر منه مؤمن محب لإخوانه لين الجانب لهم، متواضع معهم يحمل قلبا عامراً بالإيمان خاليا من الحقد والبغضاء.

يقول رسول الله ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم"[3].

ولما كان السلام طريقاً إلى المحبة والسعادة؛ فإن النبى الكريم

---

(1) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح – رقم 8336، ورقم 21440.
(2) رواه الترمذى – كتاب الاستئذان – رقم 2688 52/5.
(3) رواه مسلم – كتاب الإيمان 74/1 – رقم 54.

ينصحنا بالقائه على من نعرف ومن لا نعرف من المسلمين، لما فى ذلك من إظهار للتعاون واجتماع الكلمة، وفى الوقت نفسه إنذار وإخزاء للكافرين والمنافقين. سأل رجل رسول اللّه ﷺ: "أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"[1].

ومن هنا كان حرص الصحابة - رضوان اللّه عليهم - على نشر السلام وإفشائه فيما بينهم، فيروى عبد اللّه بن عمر - رضى اللّه عنهما - أنه إذا غدا إلى السوق لم يمر على سقاط[2] ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه، وقيل له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس فى مجالس السوق؟ فقال: إنما نغدو من أجل السلام، نسلم على من لقيناه[3].

ونتساءل كيف يحقق السلام غايته فى حصول المحبة بين المسلمين؟!

يحقق السلام غايته بما يلى:

أولاً - الإكثار منه وتكراره:

يقول النبى ﷺ: "إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه"[4].

ومن هنا نعلم أن القول الشائع لدى الناس: "كثرة السلام تقل المعرفة" بعيد عن سنة النبى، الكريم فكثرة السلام لا تقل المعرفة بل تزيدها وتقويها.

---

(1) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان 20/1 - رقم 24.
(2) أى يبيع السقط وهى المتاع الردئ.
(3) رواه مالك فى الموطأ - رقم 912 ص 323.
(4) رواه أبو داود - كتاب الأدب 4:352 - رقم 5200.

ثانياً: الابتداء به والابتدار إليه:

يقول النبىﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"[1]. وقيل له: الرجلان يلتقيان، أيهما يبدأ بالسلام؟ قال عليه السلام: "أولاهما بالله تعالى"[2]. وقد بينت سنة النبى الكريم أن الصغير يسلم على الكبير والقليل على الكثير والراكب على الماشى والماشى على القاعد[3].

ثالثاً ـ رفع الصوت والاهتمام به:

فينبغى رفع الصوت بالسلام فى حالى الإلقاء والرد، وذلك تقديراً للملقى والمتلقى، فإذا لم يسمع السلام لم يجب عليه الرد، وكذلك إذا تأخر فى الرد فكأنه لم يرد.

رابعاً ـ السلام على أهل البيت:

يقول اللّه تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[4]. ويقول ﷺ: "إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك"[5].

خامساً ـ السلام على الصبية:

تواضعاً لهم، وانشراحاً لصدورهم، وتدريبا لهم على أدب الشريعة. عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبية فسلم عليهم وقال: كان رسول اللّه ﷺ يفعله[6].

---

(1) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب 352/4 ـ5197.
(2) رواه الترمذى ـ كتاب الاستئذان ـ56/5 ـ رقم 2694.
(3) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان 43/3 ـ 1396 والصغير على الكبير فى رواية البخارى ـ كتاب الاستئذان ـ 11،18 ـ رقم 6234 ـ فتح.
(4) سورة النور آية 61.
(5) رواه الترمذى ـ كتاب الاستئذان ـ59/5 ـ رقم 2698.
(6) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان 1401 ـ44/3.

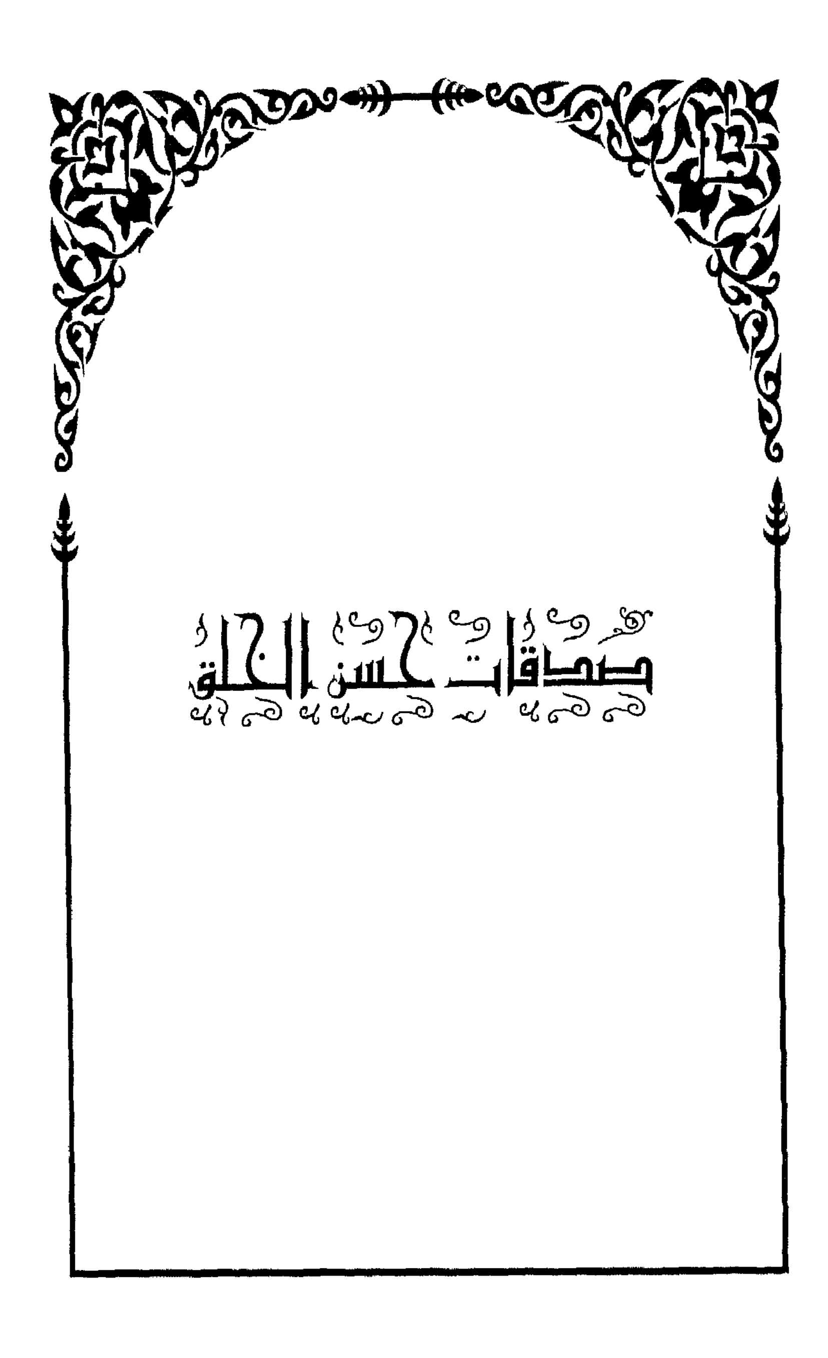
سادساً ـ السلام بالصيغة الشرعية:

وهى الواردة فى الحديث المذكور فى صدر الباب وهى: السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته. ويقول المجيب: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته. فهى أفضل تحية للمسلمين، وهى أول ما تعلمه آدم عليه السلام.

فروى أبو هريرة عن النبى ﷺ قال: "خلق اللّه آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعاً ثم قال: أذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة اللّه، فزادوه ورحمة اللّه"[1]. فينبغى على المسلم أن يحرص عليها تأسياً بسنة النبى ﷺ وحرصاً على الأجر والثواب.



(1) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان 220/3 ـ رقم 1807.



صدقات حسن الخلق

يقول رسول اللّـه ﷺ: "إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم"[1].

ويقول ﷺ:"ما من شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن اللّـه يبغض الفاحش البذئ"[2].

••• الخلق ملكة داخل النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية، وهذه الأفعال إما أن تكون حسنة مقبولة ممدوحة فتسمى بالأخلاق الحسنة، كالصبر والكرم والحياء والعدل والشجاعة وغيرها من الأخلاق الفاضلة وإما أن تكون مرفوضة مذمومة فتسمى بالأخلاق السيئة كالكذب والكبر والخيانة والبذاءة وغيرها من الأخلاق القبيحة.

والإسلام ـ ذلك الدين الخاتم والمقبول عند اللّـه ـ يدعو إلى حسن الخلق ويرغب فيه، وينفر من سوء الخلق ويذمه وصاحبه، ومن أجل ما وصف به صاحب رسالته ـ النبى محمد ﷺ ـ أنه صاحب خلق كريم. يقول اللّـه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]. وذلك لأنه عليه السلام كان متخلقاً بأخلاق القرآن متمسكاً بآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن، كما تقول السيدة عائشة فى وصف النبى الكريم: "إن خلق البنى ﷺ كان القرآن"[4].

---

(1) رواه ابو داود ـ كتاب الأدب ـ 253/4 ـ رقم4798.
(2) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة ـ 4،362 ـ رقم 2002.
(3) سورة القلم ـ آية "4".
(4) رواه مسلم ـ كتاب الصلاة المسافرين ـ512/1 ـ رقم 746.

ويرفع النبى الكريم درجة صاحب الخلق الحسن إلى درجة قائم الليل وصائم النهار ومالهما من عظيم الأجر والثواب، الأمر الذى يؤدى إلى ثقل ميزانه بالأعمال الصالحة يوم القيامة، بل ويجعله قريباً من النبى ﷺ ومن شفاعته. يقول عليه السلام: "إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"[1]. وكيف لا وقد سئل النبى عليه السلام عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: "تقوى اللَّه وحسن الخلق"[2].

وإليك بعض أقوال السلف فى تعريف حسن الخلق:

قال الحسن: حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى.

وقال الواسطى: هو ألا يخاصم ، ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى.

وقال شاه الكرمانى: هو كف الأذى واحتمال المؤن.

وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه.

وقال على ـ رضي الله عنه: حسن الخلق فى ثلاث خصال: اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال.

وقال الحسين بن منصور: هو ألا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق.

وقال أبو سعيد الحزاز: هو أن لا يكون لك هم غير اللَّه تعالى[3].

ونشير الآن إلى بعض الأخلاق الفاضلة التى تعمل على نشر

---

(1) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة ـ670/4ـ رقم 2018.

(2) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة 363/4 ـ رقم 2003.

(3) إحياء علوم الدين 85/3، 86.

الألفة والمحبة بين المسلمين، كما تعوض المسلم عما كتب على أعضائه من الصدقات فى كل يوم، وهذه الأخلاق هى:

- طلاقة الوجه عند اللقاء.
- كف الشر.
- العفو عن الناس.

طلاقة الوجه عند اللقاء:

يقول النبى ﷺ: "كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق"[1]، يقول أيضاً: "تبسمك فى وجه أخيك صدقة"[2].

... من علامات الإيمان حسن استقبال المسلم بوجه طلق مستبشر متهلل بالانشراح والابتسام، وهو إكرام معنوى ينبغى أن يسبق الإكرام المادى، يقول الشاعر:

بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف بمن يقرى القرى وهو يضحك

والوجه البشوش المنبسط دليل على سلامة الصدر، وطهارة الباطن من الأحقاد والضغائن، كما أنه يشعر من تلقاه بسرورك للقائه ومحبتك إياه، فتزداد أواصر المحبة بينكما. وهذا ما يريده النبى الكريم ﷺ من ترغيبه فى طلاقة الوجه والتبسم عند اللقاء، فالأمة المتحابة أمة مترابطة قوية، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

والرسول ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة كان أكثر الناس تبسماً فى لقائه بالناس، وفى حديثه معهم، وكان أبو الدرداء لا يحدث

---

(1) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة 347/4 ـ رقم 1970.
(2) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة 340/4 ـ رقم 1956.

بحديث إلا تبسم فيه، فقالت زوجته أم الدرداء: إنى أخشى أن يحمقك الناس؟ فقال : "كان رسول اللّه ﷺ لا يحدث بحديث إلا تبسم"[1].

وإذا كان النبى الكريم يدعو إلى البشاشة والتبسم فى وجوه الآخرين، فإنه يحذر من كثرة الضحك، لأنها تميت القلب وتذهب الوقار وتضيع الهيبة وتصرف عن جلائل الأمور، فيقول عليه السلام: "ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب"[2].

ومن هنا ينبغى على المسلم أن يكون باشا فى وجوه الناس منبسطا مبتسماً، ولكن بالقدر الذى يحفظ له وقاره وهيبته، كما ينبغى أن يكون، إذا مزح متحفظا فى مزاحه مع الآخرين صادقاً فيه مقتصراً غير مسرف، فالمزاح بمثابة ملح الطعام الذى يوضع بقدر، لأن قلته وزيادته تضران بالطعام، أما من يلجأ إلى الكذب حتى يضحك الناس فهو آثم، واقع فى معصية اللّه ورسوله.

يقول النبى ﷺ "ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له"[3].

وليكن قدوتنا فى ذلك رسول اللّه ﷺ حيث كان يمزح ولكنه لا يقول إلا حقاً وصدقاً، ومن مزاحه الكريم الذى يذهب عن النفس همها وملالتها ولا يمس وقارها: عن أنس بن مالك أن رجلاً استحمل رسول اللّه ﷺ فقال: "إنى حاملك على ولد الناقة. فقال: يا رسول اللّه: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول اللّه ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق؟"[4].

---

(1) رواه أحمد بإسناد حسن 78/16 ـ رقم 21632.
(2) رواه الترمذى ـ كتاب الزهد 550/4 ـ رقم 2350.
(3) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب 299/4 ـ رقم 4990.
(4) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة 357/45 ـ رقم 1991.

وجاءته عجوز فقالت: "يا رسول اللّه: ادع اللّه تعالى أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان: إن الجنة لا تدخلها عجوز. فولت تبكي. قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز. إن اللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾[1].

كف الشر:

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "على كل مسلم صدقة". قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: "يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق". قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "يعين ذا الحاجة الملهوف" قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "يأمر بالمعروف أو الخير". قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة"[2]، وفي رواية أخرى "تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك"[3].

... من الخصال الإيمانية التي دعا إليها الإسلام كف الشر عن الناس وحبس الأذى عنهم، فالمسلم الحقيقي الحريص على رضا اللّه ومغفرته وجنته هو الذي يحب لغيره ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر. يقول النبي ﷺ:"من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"[4].

كما يجعل النبي الكريم أفضل المسلمين من سلم الناس من شره وأذاه؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت يا رسول اللّه.... أي المسلمين

---

(1) انظر تفسير ابن كثير 311/4 ـ الواقعة 35 ـ 36.
(2) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان 176/1 ـ رقم 5890.
(3) رواه مسلم ـ كتاب الإيمان 88/1 ـ رقم 83.
(4) رواه أحمد بإسناد صحيح 6/ 317 ـ رقم 6807.

أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"[1].

ومن صور إيذاء المسلم:

1- إيذاء بالقلب:

وهو الحسد والحقد والبغضاء وسوء الظن به. يقول النبي ﷺ: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللَّه إخواناً"[2].

2- إيذاء بالعين:

وهو النظر إليه باحتقار وازدراء. يقول النبي ﷺ: "حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[3].

3- إيذاء باللسان:

كالسب والشتم والقذف والغيبة والنميمة والسخرية، والنبذ بالألقاب السيئة.

يقول اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[4]. ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[5].

---

(1) رواه الترمذي ـ كتاب الإيمان 17/5 ـ رقم 2627.
(2) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان 147/3 ـ رقم 1660.
(3) رواه ابن ماجة ـ كتاب الزهد 1409/2 ـ رقم 4213.
(4) سورة الأحزاب ـ 58.
(5) سورة الحجرات آية 11.

4- إيذاء باليد:

كالضرب والسرقة. يقول النبى ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"[1]. ويقول أيضاً: " المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم"[2].

العفو عن الناس:

يقول رسول اللّه ﷺ: "أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبى ضمضم؟" قالوا: ومن أبو ضمضم؟ قال: "رجل فيمن كان من قبلكم قال: عرضى لمن شتمنى." وفى رواية: "كان إذا أصبح قال: اللهم إنى تصدقت بعرضى على عبادك"[3].

... إذا كان الإسلام يأمر المسلم بكف الشر عن الناس ومنع الأذى عنهم، فإنه فى الوقت نفسه يرغب من وقع عليه الأذى فى احتماله والعفو عن صاحبه لأنه من صفات المحسنين وأخلاق المتقين: يقول اللّه تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَٰتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[4].

ويضرب لنا النبى الكريم ﷺ أروع الأمثلة فى العفو عن المخطئ والتجاوز عن المسيء، ولعل أشهر ما يعرف عن عفوه عليه السلام يوم الفتح الأعظم عندما عفا عن أهل مكة الذين آذوه وطردوه من بلده، وقال لهم كلمته الشهيرة: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

---

(1) رواه ابن ماجة ـ كتاب الفتن 1298/2 ـ رقم 3934.
(2) رواه مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ 1986/4 ـ رقم 2564.
(3) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ / 273 ـ 4886.
(4) سورة آل عمران. الآيتان 133، 134.

وعن عائشة رضى اللّه عنها أنها قالت للنبىﷺ:هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: " لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، وإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال: إن اللّه تعالى قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثنى ربى إليك لتأمرنى بأمرك فمر ما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين*. فقال النبى ﷺ بل أرجو أن يخرج اللّه من أصلابهم من يعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئاً"[1].

فالعفو عن الناس خلق كريم ينبغى أن يتحلى به المؤمن، لأن الانتقام للنفس سبيل الشيطان إلى الوقوع فى المعاصى والآثام، ونشر العداوة والبغضاء بين المؤمنين، فالمؤمن لا ينتقم إلا إذا وجد انتهاكاً لحرمات اللّه، فساعتئذ يتوجب الردع والإنكار.

عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: "ما ضرب رسول اللّه ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد فى سبيل اللّه، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم اللّه تعالى فينتقم للّه تعالى"[2].



* هما الجبلان المحيطان بمكة.

(1) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان 182/2 ـ 1173.

(2) رواه مسلم ـ كتاب الفضائل 1714/4 رقم 2328.



صداقة عون المؤمن

عن أبى موسى ﷺ عن النبى ﷺ قال: "على كل مسلم صدقة". قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: "يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق". قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: "يعين ذا الحاجة الملهوف..."[1].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: "كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة..."[2].

••• الإسلام دين الرحمة والإحسان يدعو أتباعه إلى الشفقة والتسامح، ويحثهم على العون والمساعدة للآخرين، الغنى يعطف على الفقير، والقوى يرحم الضعيف، والصحيح يسأل عن المريض ويدعو له، وكل مسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وذلك لأن المسلمين أخوة كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3]. ولا ينبغى أن يكون بين الأخوة إلا الألفة والمودة، والرحمة، والتسامح، وما أصدق تصوير النبى ﷺ للمؤمنين المتراحمين المتعاطفين بالجسد الواحد إذا ألم منه عضو ألم له سائر الأعضاء؛ يقول عليه السلام: "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[4].

---

(1) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان: 176/1 رقم 589.

(2) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان: 777/1 رقم 590.

(3) سورة الحجرات: آية 10.

(4) رواه مسلم ـ كتاب البر والصلة: 1999/,4 رقم 2586.

والرحمة بالمؤمنين والشفقة عليهم طريق إلى رحمة اللَّه ورضوانه، كما أن الغلظة معهم والشدة عليهم طريق إلى غضبه وعذابه. يقول النبى الكريم فى الراحمين: "الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء"[(1)]. ويحذر قساة القلوب حداد الألسن بقوله: "من لا يرحم الناس لا يرحمه اللَّه عز وجل"[(2)]. ويقول أيضاً عليه السلام: "لا تنزع الرحمة إلا من شقى"[(3)]. والشقاء قد يكون فى الدنيا والآخرة معاً.

ومن علامات أخوة المؤمنين وتراحمهم وتعاطفهم إعانة بعضهم البعض، ففى المجتمع المسلم المتآخى المتراحم نجد نصرة للضعيف من القوى، ومعونة للفقير من الغنى، وتوقيراً وإجلالاً للكبير من الصغير، وشفقة وحناناً للصغير من الكبير، وتفريجاً لكرب المكروبين، وتنفيساً لِهَمّ المهمومين، وتيسيراً على المعسرين، وعفواً عن المخطئين، وقضاءً لحاجة المحتاجين، وستراً لعورات المسلمين.

يقول النبى الكريم ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة أخيه كان اللَّه فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج اللَّه عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره اللَّه يوم القيامة"[(4)].

ويقول أيضاً عليه السلام: "ومن يسر على معسر يسر اللَّه عليه

---

(1) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة: 324/4 رقم 1924.
(2) رواه مسلم ـ كتاب الفضائل: 1809/4 رقم 2319.
(3) رواه أبو داود ـ كتاب الأدب: 287/4 رقم 4941.
(4) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان: 149/3 ـ رقم 1667. ولا يسلمه: لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.

فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستر اللّه عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه"[1].

فعون المسلمين والسعى فى مصالحهم من أفضل ما يتقرب به المؤمن إلى ربه، فأحب الأعمال إلى اللّه تعالى ما كان فيه خير الناس ونفعهم مما يستطيع من مال أو نصح أو علم أو شفاعة أو دلالة على الخير. يقول تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]

والأجر على ذلك العمل - عون المسلمين - يعجل فى الدنيا قبل أجر الآخرة، فحسب الإنسان المعين غيره فى حوائجه أن يكون اللّه العزيز الحكيم معينا له فى حوائجه مدبراً له أموره.

يقول النبى الكريم فى حديث آخر: "لا يزال اللّه فى حاجة العبد ما كان فى حاجة أخيه"[3].

كما أن أحب الناس إلى اللّه تعالى، أنفعهم للناس؛ يقوم على مصالحهم ويقضى لهم حاجاتهم، فالقائم بذلك صاحب منزلة عند اللّه تعالى وآمن من عذابه يوم القيامة.

يقول النبى ﷺ: "إن للّه خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب اللّه"[4].

وذلك لأن قضاء حوائج الناس من أسباب سعادتهم، وانشراح صدورهم وبهجة قلوبهم، وإدخال السرور على المسلمين يعد من أفضل الأعمال بعد الفرائض، كما يقول النبى الكريم ﷺ: "إن أحب الأعمال إلى

---

(1) رواه الترمذى - كتاب البر والصلة: 326/4 - رقم 1930.
(2) الحج 77.
(3) الهيثمى فى مجمع الزوائد 193/8، وقال: رجاله ثقات.
(4) مجمع الزوائد 192/8، وفى الترغيب والترهيب 390/3 - رقم3.

اللّـه تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم"[1].

ونظرة سريعة فى سيرة سلفنا الصالح توقفنا على مدى استجابتهم لأوامر اللّـه ورسوله ﷺ فى إعانة الضعفاء وقضاء حوائج المحتاجين: فهذا عمر بن الخطاب يروى أنه كان يتعاهد الضعفاء والأرامل ويشملهم بالرعاية، ورآه طلحة داخلاً بيت امرأة ليلاً، فدخل عليها نهاراً، فإذا هى عجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت له: منذ كذا وكذا يتعاهدنى بما يصلح شأنى، ويخرج الأذى عنى، ويقم لى بيتى"[2].

وبعد أن تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كان يشترط فيمن يريد صحبته خمس خصال: أولها: تعريفه، بحاجة من لا تبلغه حاجته حتى يقضيها. يقول ﷺ: "ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس: يوصل إلينا حاجة من لا تصل إليها حاجته، ويدلنا من العدل على مالا نهتدى إليه، ويكون عونا لنا على الحق، ويؤدى الأمانة إلينا وإلى الناس، ولا يغتب عندنا أحداً.

ويروى عن الحسن البصرى أنه بعث جماعة من أصحابه فى حاجة لرجل وقال لهم: مروا بثابت البنانى فخذوه معكم. فأتوا ثابتاً فقال: إنى معتكف. فرجعوا إلى الحسن فأخبروه. فقال: قولوا له: يا أعمش! أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة، فرجعوا إلى ثابت فأخبروه، فترك اعتكافه وذهب معهم.

الصدقات المتعلقة بعون المؤمن:

بعد حديثنا عن عون المؤمنين وفضله ومكانته فى الإسلام، فإننا

---

(1) مجمع الزائد 193/8، وفى الترغيب والترهيب 394/3 ـ رقم 20.

(2) يقم لى بيتى أى يكنسه.

نخصص الحديث ببيان بعض وجوه إعانة المؤمنين والتى تقوم مقام الصدقة، وتعوض العاجز عن أداء صدقة المال حتى يؤدى ما كتب على بدنه من الصدقات فى كل يوم.

والصدقات التى تتعلق بعون المؤمن هى:

أ ـ إرشاد الطريق. ب ـ البيان عن الارتم.

جـ ـ الشفاعة. د ـ القرض.

هـ ـ المنيحة. و ـ سقى الماء؟

ز ـ تعليم المسلم.

إرشاد الطريق:

يقول رسول اللّـه ﷺ: "..... وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة...."(1) وفى رواية: "تهدى الأعمى وتسمع الأصم وتدل المستدل على حاجته ....."(2).

... ومن عون المؤمن إرشاده إلى ما يريد من طريق أو منزل أو شخص أو مصلحة أو غير ذلك مما يسأل عنه، فالسائل عن هذه الأمور مستغيث يحتاج إلى مساعده ، وضال يحتاج إلى هداية، وحائر يحتاج إلى رشاد، والمعين له متصدق عليه بعافيته، إذا هم له بالهداية والإرشاد إلى مقصوده، ويزاد أجر الصدقة بقدر ما يسعى معه حتى يوصله إلى غايته، فزيادة السعى تستتبع زيادة الأجر والثواب.

وربما كان المستدل على حاجته أعمى لا يبصر، أصم لا يسمع، أمّيا لا يقرأ ولا يكتب، فعندئذ تزداد الحاجة إلى المرشد المخلص الراغب

---

(1)رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة:340/4 ـ رقم 1956.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 542/15 ـ رقم 21376.

فـي حصـول الأجـر وإن كـان فيـه بعـض المشـقة، فـالمؤمن عـون لأخيــه المؤمن، يحب له ما يحبه لنفسه، يضع نفسه مكانه ويشعر بمشاعره، ويعلـم أنه بقدر ما يحسن يحسن إليـه، وكلمـا كـان حريصـاً علـى مصـالح النـاس ساعياً في حاجاتهم معيناً لهم عليها، كلما كـان عـون اللّـه لـه وتوفيقـه فـي الدنيا، فضلاً عما ينتظره عند اللّـه من الفضل العظيم.

البيان عن الأرتم:

يقول رسـول اللّـه ﷺ:"...... وبيانك عن الأرتم صدقة ...."[1].

• • • الأرتم هو الذي لا يصحح كلامه ولا يفصحـه ولا يبينـه لعلـة فـي لسانه أو أسنانه تجعله يجد صعوبة في توصيل كلامه للآخرين.

ومثل هذا الإنسـان يحتـاج إلـى مـن يعينـه فـي إبـلاغ مـراده لمـن يسمعه، لأن عدم إجادتـه للكـلام ربمـا يصيبـه بشـيء مـن الإحبـاط وضيـق الصدر، ولذا وجبت معاونتـه والبيـان عنـه، لا سيما مـن يكـون قريبـاً منـه لرحم أو صداقة أو زمالة ويفهم ألفاظه وتعبيراته.

ويجدر هنا أن نشير إلى نبي اللّـه موسى عليـه الصـلاة والسـلام، والذي طلب من ربه أن يزيل عقدة لسـانه (حبسته وعجمتـه) حتـى يفصـح كلامه ليفهمه النـاس كمـا قـال تعـالى، علـى لسـان موسـى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[2].

وقال المفسرون: إن هذه العقدة حدثت لما كـان موسـى فـي حجـر فرعون ذات يوم وهو طفل فلطمه لطمه وأخذ بلحيته فنتفها. فقـال فرعـون

---

(1) رواه أحمد بإسناد صحيح: 504/15 ـ رقم21260. وقد ورد الحديث فـي روايـة أخرى بلفظ "الأرثم" بالثاء، والأرتم، والأرت ، والأرثم جمعيا بمعنـى، وهـو مـن لا يجيد الكلام لعلة في لسانه . انظر لسان العربي مواد: رت، رتم، رثم.

(2) سورة طه الآيات 25 ـ28.

لزوجته آسية: هذا عدوى فهات الذباحين. قالت: على رسلك فإنه صبى لا يفرق بين الأشياء، ولتبين له ذلك جاءت بطستين فجعلت فى أحدهما جمراً والآخر جوهراً، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرته ووضعها فى فيه على لسانه فكانت العقدة.

وقيل: كانت هذه العقدة خلقه اللَّه تعالى فسأل موسى ربه إزالتها[1].

الشفاعة

عن أبى موسى ﷺ قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا، وليقض اللَّه على لسان نبيه ما أحب"[2].

• • • الشفاعة هى الوساطة من أجل إيصال الخير والنفع إلى الإنسان، وهى من باب التعاون بين المؤمنين على البر والتقوى، حيث يطلب شخص من آخر أن يتوسط له عند ذى ملك أو سلطان لقضاء حاجته عنده، وهذه الحاجة قد تنفعه فى دنياه، كالتوسط لعطاء، أو تجاوز عن عقوبة، أو لشغل وظيفة. وقد تنفعه فى أخرته، كالتوسط للجهاد فى سبيل اللَّه، والتوسط للبذل والصدقة.

والشفاعة فى الخير أمر مندوب إليه، حث عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[3]. وحث عليه النبى الكريم كذلك كما فى الحديث المذكور، لما يترتب عليها من حصول الخير

---

(1) انظر تفسير الطبرى: 454/8، تفسير الرازى: 10/ 594، وتفسير القرطبى: 4399/9.
(2) رواه مسلم: كتاب البر والصلة 2062/4 - رقم 20627.
(3) النساء آية 85.

والمنفعة، وباد فى الحديث أن أجر الشفاعة واقع، سواء قضيت المصلحة أم لم تقض.

وما ينبغى أن يشار إليه أن هناك شفاعة سيئة، وهى التى بسببها تعطل الحدود، ولأجلها تضيع الحقوق وتعطى لغير أصحابها، فهى شفاعة منهى عنها. يقول اللّه تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[1]. أى أنه شريك فى الإثم الناجم عن شفاعته السيئة. ويقول النبى الكريم: "من حالت شفاعته دون حد من حدود اللّه فقد ضاد اللّه فى أمره"[2].

ولعلنا نذكر هنا موقف النبى الحازم من شفاعة أسامة بن زيد ـ حب رسول اللّه ـ للمرأة المخزومية التى سرقت، وقولته الشهيرة: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم اللّه! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[3].

فالشفاعة المرغوب فيها المأجور عليها هى الشفاعة الحسنة، والتى تكون فى الحق، ولا يقع من جرائها مخالفة لشريعة اللّه، ومن أمثلة الشفاعة الحسنة:

1ـ **الشفاعة فى النكاح:** يقول ﷺ: "من أفضل الشفاعة أن يشفع بين الاثنين فى النكاح"[4].

2ـ **الشفاعة فى الإصلاح:** فبها يحقن الدم، وتجر المنفعة إلى آخر، ويدفع المكروه عن الآخر.

---

(1) النساء آية 85.
(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 48/5 ـ رقم 5385.
(3) مسلم ـ كتاب الحدود: 1315/3 ـ رقم 1688.
(4) رواه ابن ماجة ـ كتاب النكاح: 635/1 ـ رقم 1975.

3ـ **الشفاعة فى وضع الدين:** عن جابر ﷺ قال: "أصيب عبد اللّـه وترك عيالاً وديناً فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضاً من دينه، فأبوا، فأتيت النبى ﷺ فاستشفعت به عليهم..."[1].

4ـ **الدعاء:** وهو من أفضل الشفاعات أن يشفع المؤمن لأخيه عند ربه. يقول النبى الكريم: "دعوة المرء المسلم لأخيه ـ المسلم ـ بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل"[2].

غير أننا نلحظ على بعض الجهلة من المسلمين أنهم يستشفعون بالأموات الصالحين ويطلبون منهم الشفاعة. عند اللّـه تعالى لقضاء حوائجهم، فيقتربون بذلك من صنيع المشركين الذين كانوا يتخذون الأصنام واسطة تقربهم إلى اللّـه، كما أشار القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3].

فهؤلاء الذين يستشفعون بالأموات قد جمعوا بين عظيمتين:

الأولى: دعاء غير اللّـه تعالى وهو شرك أكبر.

والثانية: قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه به، حيث طلبوا له واسطة كما تطلب للمخلوق من ذوى السلطان، وجهلوا أن المخلوق قد يخفى عليه أمر الإنسان فيحتاج إلى من يعلمه به وينبهه إليه، بخلاف الرب تبارك وتعالى فإنه عليم بأحوال عبادة، لا يخفى عليه من أمرهم شئ، فما هو فى حاجة إلى من يعلمه بأحوال عباده أو ينبهه إليها.

---

(1) البخارى ـ كتاب الأستقراض: 635/1 ـ رقم 1975.
(2) مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء: 2094/4 ـ رقم 2733.
(3) سورة الزمر: آية 3.

وإذا كان المخلوق قد يعجز عن رفع حاجته إلى من يقضيها له، من سلطان وغيره فيضطر إلى البحث عن واسطة يشفع له برفع حاجته إلى من يقضيها له، فإن الأمر بالنسبة إلى اللّه تعالى يختلف تمام الاختلاف إذ العبد مع اللّه تعالى يمكنه أن يرفع إليه حاجته مباشرة بدون واسطة لعلمه تعالى بأحوال عباده وقربه منهم بخلاف المخلوقين، فإنهم لجهلهم بأحوال الناس وعجزهم عن كفايتهم يحتاج طالب الحاجة منهم إلى واسطة ترفع حاجته إليهم ليعلموها وتؤثر عليهم ليقضوها، وهذا المعنى منتف مع اللّه تعالى تماماً.

ومن هنا قبح بالعبد أن يستشفع على ربه بأحد من خلقه، وحسن به أن يسأل ربه مباشرة وبغير واسطة، وكيف وربه تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

القرض:

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:"من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة". قال: ثم سمعته يقول: "من أنظر معسراً فله بكل يوم مثليه صدقة". قلت: سمعتك يا رسول اللّه تقول: "من أنظر معسراً فله لكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة"[2].

ويقول رسول اللّه ﷺ: "رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت لجبريل: ما

(1) البقرة 186، وانظر عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى:120،121.
(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 509/16 رقم 22942.

بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمقترض لا يستقرض إلا من حاجة"[1].

• • • ومن صور إعانة المسلمين بعضهم بعضاً قرض المحتاج، ففيه تفريج لكربه وقضاء لحاجته، وإدخال للسرور عليه، لأن المؤمن لا يقترض إلا إذا أعوزته الحاجة إلى القرض، فتكون إجابته أولى من إجابة السائل المسكين الذى قد يكون عنده ما يسد حاجته.

وقد كان سلفنا الصالح حريصين كل الحرص على تحصيل أجر القرض وثوابه، فيروى أن سليمان بن أدنان كان يقرض علقمة ألف درهم إلى عطائه، فلما خرج عطاؤه تقاضاه منه واشتد عليه فقضاء: فكأن علقمة غضب، فمكث أشهراً ثم أتاه فقال: أقرضنى ألف درهم إلى عطائى. قال: نعم وكرامة، يا أم عتبة، هلمى تلك الخريطة المختومة التى عندك فجاءت بها، فقال: أما والله إنها لدراهمك التى قضيتنى، ما حركت منها درهماً واحداً. قال: فلله أبوك! ما حملك على ما فعلت بى؟ قال: ما سمعت منك، قال: ما سمعت منى! قال: سمعتك تذكر عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: "ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقتها مرة"[2].

وحتى يكون ثواب القرض كاملاً، فينبغى ألا يجر نفعاً على صاحبه كهدية أو زيادة فى المال عند رده، أو استغلال المقترض فى قضاء بعض الصالح اعتماداً على ما أقرضه من مال، فهذا كله محرم، ويعد من الربا.

وقد نهى النبى عليه السلام أن يستغل القرض فى جلب المنفعة.

---

(1) رواه ابن ماجة ـ كتاب الصدقات: 2/ 812 رقم 2431.

(2) رواه ابن ماجة ـ كتاب الصدقات: 812/2 رقم 2430.

فعن يحيى بن اسحق الهنائى قال: سألت أنس بن مالك: الرجل منا يقرض أخاه المال فيهدى له، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: "إذا أقرض أحدكم قرضاً فأهدى له أو حمله على الدابة، فلا يركبها ولا يقبله إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك"[1] .

وحتى يتضاعف أجر القرض، فعلى المقرض أن يتحلى بالصبر والحلم والتيسير على المقترض، يقول النبى الكريم: "من أنظر معسراً أو وضع له أظله اللَّه يوم القيامة تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله"[2] ، وعليه أيضاً أن يكون حسن المطالبة لحقه لقوله ﷺ: "خذ حقك فى عفاف واف أو غير واف"[3] .

أما المقترض فينبغى أن يكون حريصاً على سداد دينه حتى يعينه اللَّه على سداده، يقول النبى الكريم: "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى اللَّه عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه اللَّه"[4] .

كما ينبغى أن يكون حسن الأداء والقضاء، لقوله عليه السلام: "إن خياركم أحسنكم قضاءً"[5] ، فتقصيره فى أداء الدين مع القدرة عليه اعتداء وظلم، كما يقول النبى الكريم: "مطل الغنى ظلم"[6] ، والغنى هنا القادر على السداد، ويقول أيضاً: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه"[7] .

كما ينبغى على المقترض أن يكون حافظاً لمعروف مقرضه، فلا

---

(1) رواه ابن ماجة ـ كتاب الصدقات: 812/2 رقم 2432.
(2) رواه الترمذى ـ كتاب البيوع: 59/3 رقم 1306.
(3) رواه ابن ماجة ـ كتاب الصدقات: 809/2 رقم 2422.
(4) رواه البخارى ـ كتاب الاستقراض: 66/5 رقم 2387 فتح.
(5) رواه البخارى ـ كتاب الاستقراض: 69/5 رقم 2390 فتح.
(6) متفق عليه ـ اللؤلؤ والمرجان: 117/2 رقم 1008.
(7) رواه ابن ماجه ـ كتاب الصدقات رواه ابن ماجة ـ كتاب الصدقات: 806/2 رقم 2413.

يجحد هذا المعروف، ولا يقلل من قدره، بل يشكره ويدعو لـه، يقول عليـه السلام: "من أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لـم تجدوا فادعوا اللّـه حتى تعلموا أن قد كافأتموه"[(1)].

وعندما اقترض النبى ﷺ حين غزا حنيناً ثلاثين أو أربعين ألفاً، وقضاها لصاحبها بعد قدومه، قال له النبى الكريم: "بارك اللّه لك فى أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد"[(2)].

المنيحة:

يقول رسول اللّـه ﷺ: "خير الصدقة المنيحة تغدو بأجر وتروح بأجر، ومنيحة الناقة كعتاقة الأحمر، ومنيحة الشاه كعتاقة الأسود"[(3)].

يقول عليه السلام: "من منح منيحة غدت بصدقة وراحت بصدقة صبوحها وغدوها"[(4)].

ويقول أيضاً: "نعم الصدقة اللقحة الصفى منحة، الشاة الصفى منحة تغدو بإناء وتروح بإناء"[(5)].

... من أجمل صور التعاون بين المسلمين، ومن علامات توادهم وتراحمهم المنيحة، وهى كل ما يعطى للانتفاع به ثم رده، كمن يعطى شاة لآخر لينتفع بلبنها، أو شجرة ليأكل ثمرها أو أرضاً ليزرعها، وغير ذلك مما يمنح ويرد، على أن تكون العطية دون مقابل، لأن النبى ﷺ خرج إلى أرض تهتز زرعاً فقال: لمن هذه؟ فقالوا: اكتراها فلان (استأجرها)، فقال

---

(1) رواه أبو داود - كتاب الزكاة: 131/2 رقم 1672.
(2) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 809/2 رقم 2424.
(3) رواه أحمد بإسناد صحيح: 392/8 - رقم 8686، وعتاقة الأحمر أى عتق الأبيض.
(4) مسلم - كتاب الزكاة: 707/2 - رقم 1019.
(5) البخارى: 287/5 - رقم 2629 فتح، واللقحة: الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة، والصفى أى الكريمة العزيزة اللبن ويقال لها الصفية أيضاً.

عليه السلام: "أما أن لو منحها إياه كان خيراً لـه من أن يأخذ عليها أجراً معلوماً"[1].

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في تقديم المنائح لإخوانهم المهاجرين وعلى رأسهم النبي الكريم: تقول السيدة عائشة: "إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في بيوت رسول اللّه ﷺ نار"، قال عروة: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول اللّه ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول اللّه ﷺ من ألبانها فيسقيناه"[2].

ويقول أنس بن مالك: لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شئ وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤونة[3].

وحين استغنى المهاجرون بالفتوح ردوا إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر، يخبر أنس بن مالك أن رسول اللّه ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم"[4].

ويروى أنس أيضاً أن الرجل كان يجعل للنبي ﷺ النخلات من أرضه حتى فتحت عليه قريظة والنضير، فجعل بعد ذلك يرد عليه ما كان أعطاه[5].

---

(1) البخاري ـ كتاب الهبة288/5 ـ رقم 2634 فتح.
(2) مسلم ـ كتاب الزهد: 2283/4 رقم 2972.
(3) مسلم ـ كتاب الجهاد والسير: 1391/3 ـ رقم 1771.
(4) مسلم ـ كتاب الجهاد والسير:1392/3 ـ رقم 1771.
(5) المرجع السابق ـ رقم 1772.

فالمنيحة على أى شكل كانت ينبغى أن ترد إلى صاحبها بعد الانتفاع بها يقول النبى الكريم: "العارية مؤداه والمنيحة مردودة"[(1)].

سقى الماء:

عن سعد بن عبادة قال: "قلت يا رسول اللّه أى الصدقة أفضل؟ قال: "سقى الماء"[(2)].

وفى رواية أن سعداً أتى النبى ﷺ فقال: أى الصدقة أعجب إليك؟ قال: "الماء"[(3)].

• • • جعل اللّه تعالى الماء أصلاً لكل الأحياء، وسبباً لحياتهم، فلا يستطيعون العيش بدونه، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[(4)].

فكل المخلوقات على وجه البسيطة على اختلاف أنواعها وألوانها وأحجامها تخرج من أصل واحد وهو الماء كما قال تعالى: ﴿واللّه خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ﴾[(5)].

ومن ثم فإن حاجة الأحياء إلى الماء دائمة لا تنقطع، لأنه أصل خلقتهم فلا يغنى عنه غيره، ولذلك فالسقاية وبذل الماء لطالبه مما يسأل عنه العبد يوم القيامة، كما جاء فى الحديث القدسى: "يا ابن آدم استقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين، قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى"[(6)].

---

(1) رواه ابن ماجه - كتاب الصدقات: 801/2 - رقم 2398: والعارية: ما تعطيه لغيرك على أن يعيده إليك والجمع عوار.
(2) رواه ابن ماجه - كتاب الأدب: 1214/2 - رقم 3684.
(3) رواه أبو داود - كتاب الزكاة: 133/2 - رقم 1679 وأعجب إليك أى أحب إليك.
(4) الأنبياء: 30.
(5) النور: 45.
(6) مسلم - كتاب البر والصلة: 341/8 - رقم 6501 صحيح مسلم بشرح النووى - مكتبة الإيمان.

والنبى الكريم يرغب فى سقى الماء ويجعله من أفضل الصدقات لعلمه عليه السلام بمدى حاجة البدن إليه وعدم قدرته على الاستغناء عنه، يقول ﷺ: "أيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه اللّـه من الرحيق المختوم"[1].

ويقول أيضاً: "يصف الناس يوم القيامة صفوفاً (وقال ابن نمير: أهل الجنة) فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول يا فلان أما تذكر يوم استسقيت شربة؟ قال فيشفع فيه، ويمر الرجل فيقول أما تذكر يوم ناولتك طهوراً فيشفع فيه"[2].

والترغيب فى سقى الماء لا يقتصر على الإنسان فحسب، وإنما أيضاً على جميع ما يكون الماء سبباً فى حياته.

يقول النبى الكريم:"بينما رجل يمشى بطريق، اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماءاً ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب فشكر اللّـه له فغفر له قالوا يا رسول اللّـه وإن لنا فى هذه البهائم لأجراً؟ فقال فى كل كبد رطبة أجر"[3].

وعن سراقة بن جعشم قال: سألت رسول اللّـه ﷺ عن ضالة الإبل تغشى حياضى قد لطتها لإبلى فهل لى من أجر إن سقيتها؟ قال: "نعم، فى كل

---

(1) رواه أبو داود ـ كتاب الزكاة: 133/2 ـ رقم 1682.
(2) رواه ابن ماجه ـ كتاب الأدب: 1215/2 ـ رقم 3685.
(3) مسلم ـ كتاب السلام: 1761/4 ـ رقم 224.
يلهث: يخرج لسانه من شدة العطش والإعياء. والثرى: التراب الندى، وكبد رطبة: يريد كبد حية، وكنى بالرطوبة عن الحياة.

ذات كبد حرى أجر"[1].

ويعد سقى الماء من أفضل الصدقات الجارية التى يرجى ثوابها، وينتفع بها الحى والميت، فعن سعد بن عبادة أنه قال: "يا رسول اللّه إن أم سعد ماتت فأى الصدقة أفضل؟ قال الماء، فحفر بئراً، وقال هذه لأم سعد"[2].

تعليم المسلم:

يقول النبى ﷺ: "أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم"[3].

... إن من أعظم الصدقات التى يتقرب بها المسلم إلى ربه تعليم أخيه المسلم، فهو أفضل ما يعين به أخاه المؤمن، فبه يخرجه من ظلمات الجهل، ويبعده عن براثن شياطين الإنس والجن، كما يحصنه بسلاح قوى يجابه به محن الحياة ومشكلاتها، ويمكنه كذلك من التوصل إلى السعادة الحقيقية فى دنياه وأخراه، ولذلك فإن النبى ﷺ يحذر من كتمان العلم وحرمان الناس من فوائده فيقول: "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"[4].

ويتبدى حرص الإسلام على العلم وإعلاء شأنه من أول آية نزلت على صدر النبى ﷺ حيث كان الأمر بالعلم هو أول أمر وجه إلى النبى

---

(1) رواه ابن ماجه ـ كتاب الأدب: 1219/2 ـ رقم 3686.
تغشى حياضها: تنزلها، ولطتها: أصلحتها. كبد حرى: الحرى: فعلى من الحر وهى تأنيث حران وهما للمبالغة يريد أنها لشدة حرها قد عطشت ويبست من العطش. قال ابن الأثير: والمعنى أن فى سقى كل ذى كبد حرى أجر.

(2) رواه أبو داود ـ كتاب الزكاة: 133/2 ـ رقم 1681.

(3) رواه بان ماجة ـ المقدمة: 89/1 رقم 243.

(4) رواه الترمذى ـ كتاب العلم: 29/5 رقم 2649.

الكريم، يقول اللّـه تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"[1].

كما أن النبى لـم يؤمر بالاستزادة مـن شـىء إلا مـن العلم بيانـاً لشرفه وتأكيداً لفضله، يقول تعـالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]. وذلـك لأنـه طريق إلى طاعة اللّـه وخشيته كمـا قـال تعـالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3].

ولذلك فإن النبى الكريم ﷺ يرغب فى العلم ويحث عليـه ويجعـل الساعى فى طلبه كالمجاهد فى سبيل اللّـه. يقول ﷺ: "من خرج فـى طلـب العلم فهو فى سبيل اللّـه حتى يرجع"[4].

ومن ثـم فإن طريق الجنة ميسـر لذلـك المجـاهد فـى طلـب العلـم. يقول ﷺ: "من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهل اللّـه له طريقاً إلى الجنـة، وإن الملائكـة لتضـع أجنحتهـا لطـالب العلم رضـاً بمـا صنـع، وإن العـالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء"[5].

والثمرة العظيمة للعلم تظهر فى أثره الطيـب علـى حاملـه، ومـن يحمله إليهم، فالعالم ينبغى أن يكون أول مـن ينتفـع بعلمـه، ويجنـى ثـمرته ويأتمر بأمره، وينتهى بنهيه، حتى ينتقل ذلك الأثـر إلـى مـن يحملـه إليهـم، فهو قدوة يتأسى بها ومثل يحتذى بـه.

وقد قسم النبى ﷺ النـاس فى انتفاعهم بالعلم وعدم انتفاعهم ثلاثـة

---

(1) العلق: 1 ـ 5.
(2) طه: 114.
(3) فاطر: 28.
(4) رواه الترمذى ـ كتاب العلم: 29/5 رقم 2647.
(5) رواه الترمذى ـ كتاب العلم: 28/5، 29 رقم 2646، 2682.

أقسام فيقول: "مثل ما بعثنى اللّه به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع اللّه بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين اللّه ونفعه ما بعثنى اللّه به فَعَلِمَ وعلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى اللّه الذى أرسلت به"[1].

ويقول النووى فى شرح هذا الحديث: الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس، فالأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيى بعد أن كان ميتاً، وينبت الكلأ فينتفع به الناس والدواب بالشرب والرعى والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيى به قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع.

والنوع الثانى من الأرض لا تقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة وهى إمساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب، وكذا النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ولا رسوخ لهم فى العقل يستنبطون به المعانى والأحكام، وليس عندهم اجتهاد فى الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتى طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به.

والنوع الثالث من الأرض السباخ التى لا تنبت ونحوها، فهى لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به أحد من الناس أو الدواب، وكذا النوع الثالث من الناس، ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم

---

(1) مسلم ـ كتاب الفضائل: 1787/4 رقم 2282.

لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم[1]

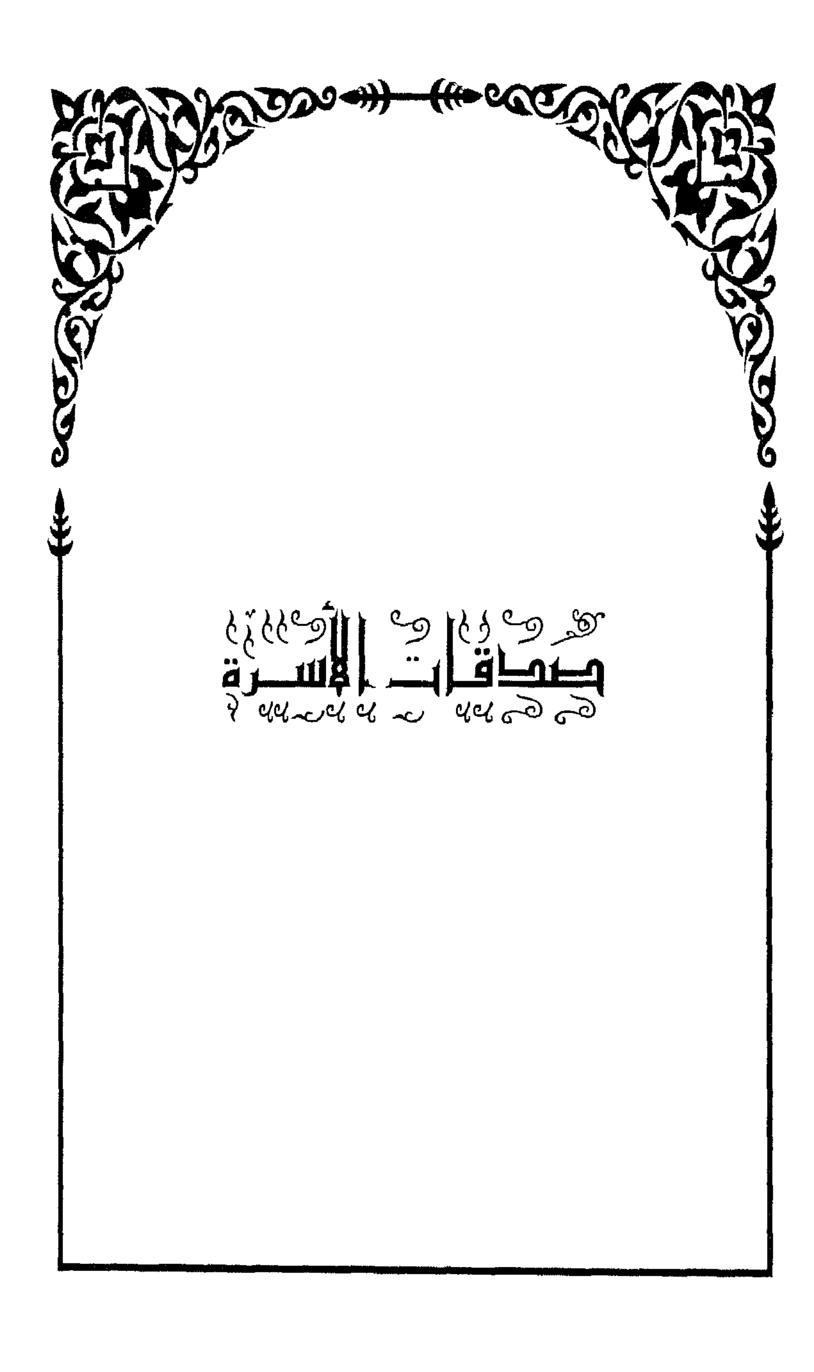
وتعليم الناس من الصدقات الجارية التى تجرى أجورها على أصحابها بعد موتهم. يقول النبى ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[2]

فهذه دعوة من النبى الكريم لكل مسلم نال حظاً من العلم ولو قليلاً أن يتصدق على الناس بعلمه، فيهديهم إلى الخير والرشاد، ويبصرهم بما ينفعهم أو يضرهم، وبما يقربهم من اللّه أو يبعدهم.

فذلك العلم أمانة استودعها اللّه إياه فينبغى أن يؤديها إلى أهلها لأنه يعاقب على تقصيره فيها، كما أنه يثاب على أدائها، بل وينال مثل أجور من كان سبباً فى هدايتهم دون أن ينقص من أجورهم شيئاً. يقول النبى ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً"[3]



(1) شرح صحيح مسلم للنووى: 144/5.
(2) رواه الترمذى ـ كتاب الأحكام: 651/3 رقم 1376.
(3) رواه مسلم ـ كتاب العلم: 2060 رقم 2674.



صدقات الأسرة

عن أبى هريرة ﷺ قال، قال رسول اللّـهﷺ: "دينار أنفقتـه فـى سبيل اللّـه، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينـار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك"[1].

••• الأسرة هى النواة الأولى للمجتمع، وصلاحها طريـق إلـى صـلاح المجتمـع، وفسـادها طريـق إلـى فسـاده ولذلـك فقـد وضـع الإسـلام الأسـس الصحيحة التى تقوم عليها الأسرة المسلمة لتكون انطلاقاً إلى مجتمع سـوى صالح تسود فيه الفضائل وتحترم فيه الحقوق، وتؤدى فيه الواجبات، يعرف فيه الكبير حق الصغير، والصغير فضل الكبير، الأمر الذى يخلـق مجتمعـاً فاضـلاً راسخ الأسس قوى البنيان، تغمر أجواءه الألفة والمودة، وتربط بيـن أفراده أواصر محكمة تقوم على الاحترام المتبادل بين الجميع.

هذا المجتمع الذى يحمل مشعل الهداية للناس جميعاً، ويحمل علـى كاهله أمانة هذا الدين الحنيف ومسئولية نشره والدعوة إليه، وقبل أن يدعـو إليه بالقول والكلمـة يدعـو إليـه بـالعمل والسلوك حتـى يكـون لدعوتـه فـى القلوب أثر وفـى النفوس صدى.

ونتحـدث الآن عـن بعـض الأخـلاق والآداب الإسـلامية التـى مـن شأنها أن تؤدى إلى أسـرة سـعيدة، وفـى الوقـت نفسـه تقـوم مقـام الصدقـة، ويحصـل لـها أجرها، وهذه الأخلاق هى:

---

(1) رواه مسلم ـ كتاب الزكاة: 692/2 رقم 995.

أ ـ النفقة على النفس.

ب ـ النفقة على الأهل.

جـ ـ حسن معاشرة الزوجة.

د ـ تأديب الولد.

النفقة على النفس:

عن المقدام بن معد يكرب ﷺ قال، قال رسول اللّه ﷺ: "ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة..."[1].

عن كعب بن عجرة ﷺ قال: "مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول اللّه ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول اللّه... لو كان هذا فى سبيل اللّه؟"

فقال رسول اللّه ﷺ: "إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل اللّه وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل اللّه، وإن كان خرج على نفسه يعفها فهو فى سبيل اللّه، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان"[2].

• • • فى الحديثين توجيه كريم من النبى ﷺ إلى ضرورة السعى والعمل من أجل عفة النفس وعزتها، وحفظها من مذلة المسألة والاستجداء، فالساعى على نفسه يعفها ويصونها مجاهد فى سبيل اللّه، مأجور على سعيه وعمله، لأن الإسلام لا يريد لأبنائه إلا أن يكونوا أعزة أقوياء، لا يعيشون عالة على غيرهم، وكلاً على مجتمعاتهم، بل لابد أن يكون لكل منهم دور بناء فى تنمية ورفاهية مجتمعه، بل وأمته بأسرها.

---

(1) رواه أحمد بإسناد صحيح: 293/13 رقم 17113.

(2) المنذرى فى الترغيب والترهيب 524/2 ـ 9، وقال: رجاله رجال الصحيح.

يقول النبى الكريم: "المؤمن القوى خير وأحب إلى اللّه من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر اللّه وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"[1].

ومن أدعيته ﷺ: "اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وضلع الدين وقهر الرجال"[2].

والإسلام يدعو إلى العمل ويحث عليه، ويأمر المؤمن أن يمشى فى مناكب الأرض (جوانبها) ويأكل من رزق اللّه وفضله، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[3] حتى أن اللّه - تعالى - يأمرنا بالسعى فى يوم عيدنا الأسبوعى يوم الجمعة وبعد الصلاة، تأكيداً على أهمية العمل وفضله. يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

وذلك لما فى العمل من فوائده العظيمة التى تعود على الفرد والجماعة على حد سواء، فمن فوائده: فيه عمارة الكون والتى خلق من أجلها الإنسان. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[5]، ومهمة هذا الخليفة إعمار الأرض بمنهج اللّه، وهذا الإعمار يحتاج إلى العمل والجد والاجتهاد.

---

(1) رواه مسلم - كتاب القدر: 2052/4 رقم 2664.
(2) البخارى - كتاب الدعوات: 319/8.
(3) الملك: 15.
(4) الجمعة: 10.
(5) البقرة: 30.

وفى العمل تعبد للّه وتقرب إليه، حيث إنه استجابة لأمره بالسعى والعمل، وكل أمور الدنيا المباحة تتحول إلى عبادة ما سبقها صدق فى النية وإخلاص فى العمل للّه وحده.

يقول النبى الكريم: "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"[1]، ويقول أيضاً: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"[2].

وفى العمل عفة المسلم عن الحرام، لأنه استغنى عنه بالحلال الذى جاء بكده وسعيه، وفى العمل أيضاً عزة المسلم، فلا يتعرض للمسألة وذلها. وعندما جاء رجل من الأنصار يسأل النبى - يطلب منه عطاءً - فقال له النبى: "أما فى بيتك شيء؟ فقال: حلس (رداء) نلبس بعضه ونبسط بعه، وقعب (إناء) نشرب فيه الماء، فأمره النبى أن يحضرهما وباعهما بدرهمين، وأمره أن يشترى بأحدهما طعاماً لأهله، وبالآخر قدوماً، وقال له النبى: اذهب واحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً، ففعل الرجل وأصاب ربحاً وفيراً فقال له النبى: هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة (علامة) فى وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع، أو لذى غرم مفظع أو لذى دم موجع"[3].

وفى العمل - أيضاً - قدوة للصغار حتى يقضوا أوقات فراغهم فيما ينفعهم، ولا يعتمدوا كل الاعتماد على آبائهم لا سيما بعد بلوغهم وشدتهم، فعلى الكبير أن يعمل ولو كان صاحب مال، فنبى اللّه داود عليه السلام - مع ملكه العظيم - كان يأكل من عمل يده، كما بلغ النبى الكريم فى

---

(1) الترمذى - كتاب البيوع: 506/3 رقم 209.
(2) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان: 116/2 رقم 1001.
(3) رواه ابن ماجة -كتاب التجارات: 740/2 رقم 2198.

قوله: "ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى اللّـه داود كان يأكل من عمل يده"[1]. وخصه النبى بالذكر - من بين الأنبياء وهم جميعاً يأكلون من عمل أيديهم - حتى لا يظن البعض أنه اعتمد على ماله وملكه وتكاسل عن العمل.

وقد أساء بعض الناس فهم التوكل على اللّـه، فتكاسلوا عن أداء الأعمال متعللين ببعض النصوص التى أساءوا فهمها كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[2]. وكقوله عليه السلام: "لو أنكم تتوكلون على اللّـه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً"[3]. فالتوكل هو الاعتماد على اللّـه والأخذ بالأسباب، فكلما يؤمر المسلم بالتوكل فهو مأمور كذلك بالأخذ بالأسباب، وصدق النبى الكريم إذ يقول اعقلها وتوكل"[4].

وما ينبغى أن يذكر هنا أن العمل الذى يدعو إليه الإسلام والذى يثاب عليه المؤمن هو العمل الحلال فقط، الموافق لشريعة اللّـه، وليس فيه مخالفة لكتاب اللّـه ولا لسنة رسوله ﷺ. فكل عمل فيه معصية، أو أعان على معصية فهو محرم يوقع صاحبه فىغضب اللّـه وعقابه.

أما العمل الذى يرضى اللّـه فى الدنيا ويثيب عليه فى الآخرة هو العمل الحلال، يقول النبى الكريم: "من أكل طيباً وعمل فى سنَّة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة"[5].

---

(1) رواه البخارى - كتاب البيوع: 355/4 رقم 2070 فتح.

(2) هود 6.

(3) رواه أحمد بإسناد صحيح: 252/1 رقم 250.

(4) الترمذى - كتاب القيامة 668/40، رقم 257.

(5) رواه الترمذى - كتاب صفة القيامة رقم 2520، وعمل فى سُنَّة: أى مطيعاً سُنَّة النبى ﷺ.

النفقة على الأهل:

عن ابن مسعود البدرى،عن النبى ﷺ قال: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة"[1].

عن سراقة بن مالك أن النبى ﷺ قال: "ألا أدلك على أفضل الصدقة؟ ابنتك مردودة إليك ليس لها كاسب غيرك"[2].

••• أسند الإسلام للرجل قيادة الأسرة فى مسيرة حياتها، وألزمه تدبير شئونها، وقضاء حوائجها، باذلاً فى سبيل ذلك كل ما يمكنه من جهد، وجعل نفقته على زوجه وأولاده صدقة يتقرب بها إلى اللَّه تعالى، لأنه يقصد بها المحافظة على عفة الأسرة، وعصمتها من الفتن، وإبعادها عن مهاوى الرذيلة فتقترب بذلك من طاعة اللَّه تعالى، فينشأ مجتمع مؤمن راشد مترابط، يقوم على احترام الحقوق وأداء الواجبات، فتتحقق له السعادة الدائمة التى يرمى إليها الشارع الحكيم.

فنفقة الرجل على أهل بيته من حقوقهم عليه، ومن واجباته نحوهم، فهو مسئول عنهم أمام اللَّه وأمام الناس، وهم أمانة عنده أمره اللَّه بالمحافظة عليها، وسائله عنها هل حفظهما أم ضيعها، يقول الرسول الكريم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[3]، ويقول أيضاً: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول"[4].

وإذا كان الرجل فقيراً عاجزاً عن النفقة، هل يعفيه ذلك من النفقة على أهله؟

---

(1) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان: 176/1 رقم 586.
(2) رواه ابن ماجه ـ كتاب الأدب: 1209/2 رقم 3667.
(3) البخارى ـ كتاب العتق: 215/5 رقم 2558 فتح.
(4) رواه أبو داود ـ كتاب الزكاة: 136/2 رقم 1692.

يقول الأستاذ محمد أحمد فرج السنهورى: "وإذا كان رب الأسرة لا مال له، ولم يكن قادراً على الكسب، ولم يصل إليه لسبب أو آخر ما كان يجب له ولهم من النفقة فى بيت مال المسلمين، وعلى المياسير من الناس، فإن هذا لا يدرأ عنه المسئولية نحو أسرته، ويبقى عليه شيء آخر، فمن كانت هذه حاله، كان فرضاً عليه أن يخرج من بيته ليعلم الناس بحاله وأن يطوف على الأبواب ليسأل القادرين ما يدفع عنه الغائلة هو وأهله، فإن قصر فى ذلك كان آثماً، ومسألته فى هذه الحالة لا حرج فيها ولا مذلة، فهو إنما يسعى إلى الناس ليصل إلى حق مستحق له عليهم، فإن إطعام المحتاجين والقيام بضروراتهم فرض على القادرين وليس فى طلب صاحب الحق حقه شيء من المهانة والذل، ولو كان فيه شائبة من ذلك ما صنعه ﷺ فقد روى الطبرانى وابن حبان فى الصحيح من حديث طويل أن أبا بكر خرج فى الهاجرة إلى المسجد فوجد عمر فقال له: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال له: ما أخرجنى إلا ما أجد من شدة الجوع. فقال عمر: والله ما أخرجنى غيره. فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما الرسول فقال: ما أخرجكما هذه الساعة؟ قالا: ما أخرجنا إلا ما نجد من الجوع. قال: والذى نفسى بيده ما أخرجنى غيره فقوما. فانطلقوا إلى باب أبى أيوب فاستقبلتهم امرأته، ثم جاء هو يشتد، وأمر فأعد لهم الطعام، خبز وجدى طبخ نصفه وشوى الآخر، وتمر ورطب وبسر، ولما قدم لهم الطعام أخذ النبى من الجدى فجعله فى رغيف، وقال: يا أبا أيوب أبلغ بهذه فاطمة فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام"[1].

---

(1) الأسرة فى التشريع الإسلامى: 85، 86.

حسن معاشرة الزوجة:

يقول رسول اللَّهﷺ: "... وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه اللَّه إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى امرأتك"[1].

ويقول عليه السلام: "وفى بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول اللَّه، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك، إذا وضعها فى الحلال كانت له أجراً"[2].

... ننتقل إلى جانب آخر من مسئولية الرجل تجاه أهله، وهو الجانب الأدبى المتعلق بحسن عشرة الزوجة كما أمر بذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[3]. وفى قوله عليه السلام: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى"[4].

فحسن معاشرة الزوجة طريق إلى تأليف قلبها، وبث روح المودة والمحبة فى ربوع البيت، مما يؤدى إلى حياة سعيدة يحيط بها سياج من التفاهم والاحترام المتبادل.

ومن صور المعاشرة الطيبة للزوجة:

1- الحرص على إكرامها وإرضائها بما يستطيع.

2- الاستماع إليها والأخذ بمشورتها، فإنها قد ترى ما لا يراه، وقد يجد عندها ما يغيب عنه.

3- احترام أهلها والثناء عليهم والسماح لها بزيارتهم لأن فى ذلك إسعادها.

4- الاهتمام بها وبحوائجها اهتمامه بنفسه، وعدم إهانتها فعلاً أو قولاً، فقد

---

(1) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان: 131/2 رقم 1053.

(2) رواه مسلم - كتاب الزكاة: 698/2 رقم 1005.

(3) النساء: 19.

(4) رواه ابن ماجة - كتاب النكاح: 636/1 رقم 1977.

سأل رجل رسول اللّه ﷺ: "ما حق المرأة على الزوج؟ قال: "أن يطعمها إذا طعم، وأن يكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يقبح، ولا يهجر إلا فى البيت"[1].

5ـ العفو عن زلاتها وعدم ترصد سقطاتها، بل يحاول إصلاحها، فكل إنسان لا يخلو من العيوب. يقول النبى ﷺ: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، أن كره منها خلقاً رضى منها آخر"[2].

6ـ مناداتها بأحب الأسماء إليها، وتلقيبها بما تحب من الألقاب، ليدخل السرور عليها.

7ـ مداعبتها والمزاح معها، فلا يكون فى بيته جاداً فى كل الأمور، يعامل أهله كما يعامل الغرباء.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: "ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى، فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلاً".

8ـ الاعتدال فى الغيرة، لأن الإسراف فيها، والمبالغة فى تعقب تصرفات الزوجة وسوء الظن بها قد يؤدى إلى فساد العلاقة بينهما، يقول النبى الكريم: "إن من الغيرة ما يحبه اللّه، وإن منها ما يبغضه اللّه"[3].

9ـ المحافظة على أسرارها الخاصة لما فى إفشائها من أذى لها. يقول النبى ﷺ: "إن من أشر الناس عند اللّه منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها"[4].

10ـ تعليمها أمور دينها حتى تكون بصيرة بحق خالقها، وحق زوجها،

---

(1) رواه ابن ماجة ـ كتاب النكاح: 593/1 رقم 1850.

(2) رواه مسلم ـ كتاب الرضاع: 1091/2 رقم 1469.

(3) رواه أحمد بإسناد صحيح: 103/17 رقم 23637.

(4) رواه مسلم ـ كتاب النكاح: 1060/2 رقم 1437.

. ومن حولها جميعاً.

11- إعطاؤها حقها فى الجماع، وهذا الحق قد ذهب جمهور العلماء إلى وجوبه على الرجل إذا لم يكن له عذر[1]. وترشدنا سنة النبى ﷺ إلى ضرورة إعطاء المرأة هذا الحق، بل ويجعله عبادة يثاب الإنسان عليها، وصدقة يتقرب بها إلى ربه، وبسببه يكون الولد، وبه ترتجى العفة، والوفاء به يزيد المحبة والمودة بين الزوجين.

ولما دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى ﷺ فرأينها سيئة الهيئة، فقلن: مالك؟! ما في قريش رجل أغنى من بعلك! فقالت: ما لنا فيه شيء؛ أما نهاره فصائم وأما ليله فقائم. فلما علم بذلك النبى قال: يا عثمان... أما لك فيَّ أسوة؟ قال: وما ذاك يا رسول اللّه؟ فداك أبى وأمى. قال: أما أنت فتقوم الليل وتصوم النهار، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، صل ونم، وصم وافطر، فأتتهم المرأة بعد ذلك وكأنها عروس فقيل لها: مه؟! قالت: أصابنا ما أصاب الناس[2].

وهذه الأمور التى وصى بها الإسلام فى معاشرة النساء، إنما هى لقاء ما تقوم به من واجبات من محافظة على شعائر دينها، وطاعة زوجها فى غير معصية اللّه، وصيانة عرضه وماله وولده، وتدبير شئون بيته، إلى غير ذلك من حقوق عليها.

تأديب الولد:

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: "لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع"[3].

---

(1) فقه السنة: 188/2.

(2) رواه ابن حبان فى صحيحه 267/1، ح 316.

(3) رواه الترمذى ـ كتاب البر والصلة: 337/4 رقم 1951.

• • • وهذا جانب ثالث من جوانب مسئولية الرجل تجاه أهل بيته، وهو تأديب الأولاد وتربيتهم تربية إسلامية فاضلة، والأم شريكة في تلك المسئولية التي تعد أهم وأخطر مسئوليات الأسرة. حيث إن التربية الفاضلة تعين على إيجاد نشئ مسلم يشب على طاعة اللّه، يقدس الأخلاق والمبادئ السامية، وينفر من قبيح القول وسيىء العمل، الأمر الذي يؤدي إلى مجتمع مثالي تسود فيه الأخلاق والقيم الصحيحة.

فتأديب الأولاد وتربيتهم على أحكام الشريعة الغراء مسئولية الآباء، وقد أمر اللّه بها في كتابه الكريم حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1]. والنصح يكون بالتأديب والنصح وتعليم الخير حتى يتخلقوا بأخلاق النبي ﷺ ويقول النبي الكريم: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"[2].

والأولاد أمانة في أيدي آبائهم ائتمنهم اللّه عليها، يسألون عنها يوم القيامة؛ هل حفظوها بالتأديب والتربية الصحيحة؟ أم ضيعوها بالإهمال والتربية الفاسدة البعيدة عن مبادئ الدين الحنيف.

هؤلاء الأولاد الذين خلقهم اللّه على الفطرة، أي يولدون ولديهم ميل ورغبة في الإسلام، ثم يأتي دور الوالدين في ترسيخ عقيدة التوحيد، تثبيت قواعد الإيمان، لئلا يكون الطفل عرضة للعقائد الفاسدة والسلوكيات المنحرفة.

وحتى تتضح معالم التربية الإسلامية، نسوق بعض النصوص التي تحمل المنهج الصحيح في تربية وتأديب الأولاد في كل ما يتعلق بحياتهم عقيدة وعبادة وأخلاقاً وآداباً، وهذه النصوص هي:

---

(1) التحريم: 6.
(2) رواه ابن ماجة: كتاب الأدب: 1210/2 رقم 3671.

1- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۞ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَنَ بِوَلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَبُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ يَبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۞ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[1].

2- قول النبي الكريم لابن عباس: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه اللّه لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ، لن يضروك إلا بشئ قد كتبه اللّه عليك"[2].

3- قول النبي الكريم: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع"[3].

4- قال الرشيد لمعلم ولده المأمون: أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، ورِوِه الأشعار، وعلمه السنن[4]، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من

---

(1) لقمان: 13 - 19.
(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 194/3 - رقم 2669.
(3) رواه أبو داود - كتاب الصلاة: 130/1 - رقم 495.
(4) السنن: الآداب العامة.

الضحك إلا فى أوقاته، ولا تمرن بك الساعة إلا وأنت مغتنـــم لفــائدة تعيرها إياه، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مســـامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وفوق ما استطعت بالقرب والملاينة.

5ــ وصية أم عربية لابنتها: احفظى عنـــى عشــر خصــال تكــن لــك ذخراً:الأولى والثانية: المعاشرة له بالرضا والقناعة، وحسن السمع لـــه والطاعة.

والثالثة والرابعة: التفقد لموضع أنفه وموقع عينه، فلا تقع عينه منـــك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

الخامسة والسادسة: الهدوء عند منامه والتفقد لوقت طعامه، فإن مــوارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

والسابعة والثامنة: الاحتفاظ بماله والإرعاء على حشمه وعياله.

والتاسعة والعاشرة: إياك أن تعصى له أمراً أو تفشى له سراً، فــإنك إن عصيت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره.

وواضح فى هذه النصوص المذكورة أنها تشتمل علـــى المنــهج الصحيح فى تأديب الأولاد وتربيتهم، ذلك المنهج الذى يضمن لـــهم حيــاة سعيدة فى جميع أطوار حياتهم، غنى وفقراً، صحة ومرضاً، قوة وضعفـــاً، يسراً وعسراً، فما أغنى الفقير بأولاده الذين أدبهم بأدب الإسلام فكانوا لـــه عوناً وذخراً.

وما أفقر الغنى بأولاده الذين لم ينعموا بأدب الإسلام، فنسوا فضل آبائهم وعقوهم بل وربما تمنوا موتهم للتمتع بأموالهم.

صدقة الطريق:

يقول رسول الله ﷺ: "وتميط الأذى عن الطريق صدقة"[1]. إماطة الأذى عن الطريق، وإزالة كل ما يؤذى الناس قولاً أو عملاً أثناء سيرهم من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وهى خصلة من خصال الإيمان، كما بينت السنة النبوية الكريمة فى قوله عليه السلام: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"[2].

وجعل النبى ﷺ من يقوم بإماطة الأذى كالمتصدق، لأن إماطة الأذى ستؤدى إلى سلامة من يمر من الأذى فكأنه تصدق عليه بذلك فحصل له أجر الصدقة[3].

وقد وضع الإسلام للطريق حقوقاً وآداباً ألزم المسلمين بها حتى لا يتعرض المارة لأى لون من ألوان الأذى، مادياً كتعطيل الطريق بالأحجار والأشواك والدواب وتلويثه بالقاذورات والنجاسات وكذلك بدخان السجائر الضار بصحة الإنسان، أو معنوياً كالسب والقذف والغيبة وإطلاق الألفاظ الخارجة، وكذلك فتنة الناس بالملابس والصور الخليعة المنافية للآداب.

وقد أشار النبى فى بيانه لحق الطريق إلى بعض ما يتعرض له الناس فى طريقهم من أذى على أيدى الجاهلين بتعاليم الدين الحنيف أو المتهاونين بها.

يقول رسول الله ﷺ: "إياكم والجلوس على الطرقات قالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها؟ فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف

---

(1) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان: 177/1 ــ رقم 590.
(2) رواه مسلم، كتاب الإيمان: 63/1 ــ رقم 34.
(3) فتح البارى ــ ابن حجر العسقلانى: 136/5.

الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"[1].

وعن أبى طلحة قال: "كنا قعوداً بالأفنية نتحدث فيها فجاء رسول اللّه ﷺ، فقام علينا فقال: ما لكم ولمجالس الصُعُدات؟ اجتنبوا مجالس الصعدات. فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، وقعدنا نتذاكر ونتحدث. قال: إما لا، فأدوا حقها: غض البصر، ورد السلام، وحسن الكلام"[2].

وواضح أن النبى الكريم ﷺ ينهى عن الجلوس فى الطرقات لما قد يترتب عليه من أذى للمارة وإن كان فيه منفعة لمن يؤدى حق الطريق، فدفع المفسدة مقدم على جلب المنفعة، وإذا كان لا محالة من الجلوس، فعلى الجالس أن يلتزم بتلك الآداب المذكورة فى الحديثين السابقين حتى لا يقع فى معصية اللّه، لأن مخالفة هذه الآداب تؤدى إلى وقوع الأذى للمارة فى الطريق. فمن الأذى أن يتتبع الناس بالنظر بالخبيث، للنساء اشتهاء، وللرجل احتقاراً وازدراءً.

ومنه عدم كف الأذى عن الناس بالقول كالسب، والشتم والقذف والغيبة والنميمة، وبالفعل كرمى العظم والحجر والشوك، وغيرها مما يؤذى ويعرقل حركة الطريق

ومنه كذلك عدم إرشاد الناس إلى الخير والمعروف وتركهم يتخبطون فى الشرور والمنكرات، فذلك من الأذى الواقع على المارين بالطرقات.

وقد وجدت فى حديث الإمام الغزالى عن منكرات الشوارع قدراً

---

(1) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان: 36/2 ـ رقم 1374.

(2) رواه مسلم ـ كتاب السلام: 1704/4 ـ رقم 2120، والصعدات هى الطرقات، وأحدها صعيداً كطريق، فهما متحدان معنى ووزناً. وإما لا: أى أن لم تتركوا مجالس الطرقات.

كبيراً من السلوكيات التى نراها فى حياتنا وتؤذى طرقاتنا والمارين فيها، فرأيت أن أنقلها بياناً لما ينبغى علينا إزاء الطرقات. يقول الغزالى:
فمن المنكرات المعتادة: وضع الأسطوانات، وبناء الدكات[1] متصلة بالأبنية المملوكة، وغرس الأشجار وإخراج الرواشن[2] والأجنحة، ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق، فكل ذلك منكر أن كان يؤدى إلى تضييق الطرق واستضرار المارة، وإن لم يؤد إلى ضرر أصلاً لسعة الطريق فلا يمنع منه.

نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة فى الطريق فى القدر الذى ينقل إلى البيوت، فإن ذلك يشترك فى الحاجة إليه الكافة، ولا يمكن المنع فيه.

وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق[3] وينجس المجتازين، منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب، وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة، وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة، والمرعى هو الحاجة التى ترد الشوارع لأجلها فى المارة دون سائر الحاجات.

ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضمها بحيث لا تمزق، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع، وإلا فلا يمنع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك. نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الأحمال

---

(1) جمع دكة وهى بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه، وغالباً من الخشب.
(2) جمع روشن وهو الشرفة أو الكوه أو الطرف.
(3) ويشبه ذلك السيارات بأنواعها التى تؤذى الطريق بتضييقه أو بعادمها الضار بصحة الإنسان.

مالا تطيقه منكر - يجب منع الملاك منه.

وكذلك ذبح القصاب إن كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم، فإنه منكر يمنع منه، بل حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحاً، فإن فى ذلك تضيقاً بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقذار الطباع للقاذورات.

وكذلك طرح القمامة على جواد الطريق[1]، وتبديد قشور البطيخ، أو رش الماء بحيث يخشى التزلق والتعثر، كل ذلك من المنكرات، وكذلك إرسال الماء من الميازيب[2] المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة، فإن ذلك ينجس الثياب، أو يضيق الطريق، فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة، إذ العدول عنه ممكن، فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج فى الطرق من غير كسح فذلك منكر، ولكن ليس يختص به شخص إلا الثلج الذى يختص بطرحه على الطريق الواحد، والماء الذى يجتمع على الطريق من ميزان معين، فعلى صاحبه - على الخصوص - كسح الطريق إن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها إلا الوعظ فقط.

وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه، وإن كان لا يؤذى إلا تنجيس الطريق، وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه، وإن كان يضيق الطريق ببسطة ذراعية فيمنع منه، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعوداً يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع[3].

---

(1) جمع جادة وهى وسط الطريق، أو الطريق الأعظم الذى يجمع الطرق.

(2)جمع ميزاب، وهو أنبوبة أو قناة يصرف بها الماء من سطح البناء.

(3) إحياء علوم الدين: 528/2،259.

الدال على الصدقة:

يقول رسول اللّـه ﷺ: "الدال على الخير كفاعله"[1]، وهذه فرصة عظيمة للفقير للحصول على ثواب الصدقة، عندما يرشد إليها ويحث عليها، فيكون سبباً فى إخراجها، فيكون هو والمتصدق سواء فى الأجر والثواب، وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أبدع بى فاحملنى. فقال: "ما عندى" فقال رجل: يا رسول اللّـه أنا أدله على من يحمله. فقال رسول اللّـه ﷺ: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"[2].

. . . وعندما يأخذ الدال على الصدقة مثل ثواب المتصدق فإنه لا ينقص من أجر المتصدق شئ وإنما يأخذ مثل أجره جزاء دلالته وإرشاده.

عن جرير بن عبد اللّـه رضي الله عنه قال: كنا فى صدر النهار عند رسول اللّـه ﷺ فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول اللّـه ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة". إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3] والآية الأخرى التى فى آخر الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[4]. تصدق رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول اللّـه ﷺ يتهلل كأنه مذهبه، فقال رسول اللّـه ﷺ: "من سن فى الإسلام سنة حسنة فله

---

(1) رواه الترمذى ـ كتاب العلم: 40/5 ـ رقم 2670.

(2) رواه مسلم ـ كتاب الإمارة: 1506/3 ـ رقم 1893، وأبدع بى: أى هلكت دابتى.

(3) النساء: 1.

(4) الحشر: 18.

أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ"[1] ؟

تمني الصدقة:

قال رسول اللّه ﷺ: "مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل أتاه اللّه مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه فى ماله، ورجل آتاه اللّه علماً ولم يؤته مالاً فيقول: رب لو أن لى مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء....."[2] .

• • • وهذه أيضاً فرصة سهلة وعظيمة للفقير حتى يحصل على أجر الصدقة دون أى مشقة، فمجرد رغبته الصادقة فى إخراج الصدقة تعطيه أجرها، لأن اللّه تعالى يثيبه على نيته الصادقة فى فعل الخير، ورغبته الخالصة فى تقديم العون للآخرين.

وهذا التمنى نوع من التنافس المحمود فى إيصال الخير للمسلمين، وهو ما يسمى بالغبطة أو الحسد المحمود، وهو تمنى المرء مثل ما لغيره من النعم دون أن يريد زوالها بخلاف الحسد المحرم وهو تمنى زوال النعمة عن أخيك المسلم.

وقد أشار النبى ﷺ إلى ذلك الحسد المحمود أو الغبطة فى قوله: "لا حسد إلا فى اثنتين، رجل أتاه اللّه مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل أتاه اللّه الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها"[3] .

---

(1) رواه مسلم: كتاب الزكاة: 704/2 ـ رقم 1017، مجتابى النمار: لا بسين كساء من صوف مخطط. وتمعر: تغير.

(2) رواه ابن ماجه ـ كتاب الزهد: 1413/2 ـ ر قم 4228.

(3) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان: 133/1 ـ رقم 467.

فالحسد المراد فى الحديث هو الحسد المحمود الذى يخلق نوعاً من التنافس البرئ بين المسلمين فى تقديم العون لإخوانهم مادياً كالمساعدات المالية أو الطبية وغيرها، أو معنوياً كالتعليم والوعظ والنصيحة وغيرها.

كل معروف صدقة:

يقول النبى ﷺ: " كل معروف صدقة"[1].

... إذا كنا ذكرنا مجموعة من الخصال الإيمانية والأخلاق الإسلامية الفاضلة والتى بين النبى الكريم أن العمل بها يعد من الصدقات التى يتقرب بها الفقير إلى ربه وتعوضه عن صدقة المال، فإننا فى هذه الباب – نجد النبى ﷺ يوسع دائرة صدقة الفقير لتشمل كل معروف فعلاً كان أو قولاً؛ تطييباً لخاطر الفقير، وتبشيراً له بثواب الصدقة عند كل عمل يبتغى به وجه الله تعالى.

والمعروف: هو ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر والخير، كبر الوالدين وصلة الرحم، والإحسان إلى الجار، والإحسان إلى اليتيم وإكرام الضيف وزيارة المريض وغيرها من صنائع المعروف.

وقد جعل النبى ﷺ مؤدى المعروف كمؤدى الصدقة فى الأجر والثواب لما يعود على أدائهما من خير على الأمة بأسرها.

---

(1) رواه مسلم ـ كتاب الزكاة: 697،2 ـ رقم 1005.

جهد المقل:

عن أبى هريرة ﷺ قال: "يا رسول الله أى الصدقة أفضل؟ قـــال: "جهد المقل وابدأ بمن تعول"[2].

.... بعد أن وقفنا أمام مجموعة – غير قليلة – من صنائع المعروف التـى تعوض الفقير عن الصدقات المفروضة على أعضاء جسده كل يوم، فإننا نختـم حديثنا بتلك الوصية الغالية التى يوجهها النبى – عليه السلام – للفقير بـــأن لا يحرم نفسه فضائل صدقة المال، وثواب المتصدقين بها وذلك بأن يتصدق بمـــا يستطيع ولو كان قليلاً، فإن قليله الذى هو فى حاجة إليه، خير من الكثير الـذى ينفقه الغنى وليس محتاجاً إليه، لأن الذى يحمله على ذلك إيمانه بـــالله وتوكلـه عليه، وثقته فى رزقه وعونه، بخلاف الغنى الذى ينفق عن كثرة وسعة.

وقد مر بنا فى أخلاق الفقير حديث النبى ﷺ عن صاحب الدرهم الذى أخرجه من درهمين لا يملك غيرهما، فكان أفضل من صاحب المائـة ألف درهم التى أخرجها من ماله الكثير[3].

وذكر مالك رحمه الله أن مسكيناً استطعم عائشة أم المؤمنين رضـــى الله عنها وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظــر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب! كم ترى فى هذه الحبة من مثقال ذرة[4].

فالصدقة مهما كانت قليلة فإنها عظيمة القدر عند الله، لأنها تخرج من قلب عامر بالإيمان واثق فـــى رزق الله، وفضلـــه، راج لرحمـــة الله وثوابه، والصدقة التى نراها قليلة محتقرة، كتمرة أو لقمة أو شربة مـــاء أو مذقة لبن، فإنها ليست كذلك عند الله، إذ هى تربى وتكـــبر حتـــى تكـــون كالجبل العظيم ما كانت من كسب طيب حلال، يقول النبى ﷺ:

---

(2) رواه أبو داود ــ كتاب الزكاة: 132/2 ــ رقم 1677.
(3) رواه النسائى ــ كتاب الزكاة: 59/3.
(4) رواه مالك فى الموطأ ــ كتاب الصدقة: 761/2 ــ رقم 6.

"لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها اللَّه بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم"[1].

وسنذكر الآن بعض فضائل الصدقة حتى لا يتكاسل عنها أحد فقيراً كان أو غنياً:

أولاً- فضائلها فى الدنيا:

تطهر نفس المتصدق الغنى من البخل والشح كما تطهر نفس الفقير من الحقد والحسد على الأغنياء، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[2].

تطرح البركة فيما تبقى من المال وتزكيه وتزيده وتنميه. يقول النبى ﷺ: "ما نقصت صدقة من مال"[3].

تزيد الرزق وتكون سبباً فى نصر اللَّه للمتصدق. يقول النبى ﷺ: " يا أيها الناس توبوا إلى اللَّه قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا"[4].

تكون سبباً فى عون اللَّه للمتصدق، يقول النبى ﷺ: "بينما رجل فى فلاة من الأرض فسمع صوتاً فى سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة، فإذا شرجة فى من تلك الشراج قد استوعبت

---

(1) رواه مسلم - كتاب الزكاة: 702/2 ــ رقم 1014 والفلو الصغير من أولاد الفرس، والقلوص: الناقة.

(2)التوبة: 103.

(3) رواه مسلم: كتاب البر والصلة: 2001/4 - رقم 2588.

(4) رواه ابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة: 343/1 - رقم 81.

ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم فى حديقة يحول الماء، بمسحاته، فقال له: يا عبد اللّه ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذى سمع فى السحابة، فقال له: يا عبد اللّه لما سالتنى عن اسمى؟ قال: سمعت فى السحاب الذى هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لا سمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثه وأرد فيها ثلثه"[1].

تبارك فى عمر المتصدق وتزيد من عافيته، يقول النبى ﷺ: "إن الصدقة وصلة الرحم يزيد اللّه بهما فى العمر"[2].

تدفع البلاء وتجنب المصائب، يقول النبى ﷺ: "باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها"[3].

ترد كيد الشيطان وتحسره وتحزنه لأنه ـ لعنه اللّه ـ يبذل جهده فى عدم إخراجها وصرف المتصدق عنها، يقول النبى ﷺ: "لا يخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنها لحيى سبعين شيطاناً"[4].

تقى المسلم مصارع السوء، يقول النبى ﷺ: "إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء"[5].

ثانياً: فضائلها فى الآخرة:

تغفر الذنوب والخطايا، يقول النبى ﷺ: " الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار"[6].

---

(1) رواه مسلم ـ كتاب الزهد: 228/4 ـ رقم 2984.
(2) مجمع الزوائد 151/8.
(3) الترغيب والترهيب 20/2 ـ39 ـ وفى كنز العمال ص6 ـ رقم 1887.
(4) رواه أحمد بإسناد صحيح: 482/16 ـ رقم 22858.
(5) رواه الترمذى ـ كتاب الزكاة :43/3 ـ رقم 664.
(6) رواه ابن ماجه ـ كتاب الزهد: 148/2 ـ رقم 4210.

تذهب عن صاحبها لهيب القبور، يقول النبى : "إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور"[1].

يستظل بها المتصدق يوم القيامة، يقول ﷺ : "كل امرئ فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس"[2].

- تبعد صاحبها عن غضب الله تعالى. يقول ﷺ : "إن الصدقة لتطفئ غضب الرب"[3].

- وتنجى صاحبها من النار وعذابها، يقول ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"[4].

ولما كان للصدقة كل هذه الفضائل فى الدنيا والآخرة، فإن النبى ﷺ يرغب فى أدائها وإخراجها حتى ولو وقعت فى غير موقعها. يقول عليه السلام: "قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية: قال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقة فوضعها فى يد غنى، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غنى. قال: اللهم لك الحمد على غنى. لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غنى وعلى سارق، فأرى فقيل

(1) مجمع الزوائد 110/3، والحديث فى كنز العمال ج6 ــ رقم 15996.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح: 343/13 ــ رقم 17266.

(3) رواه الترمذى ــ كتاب الزكاة 43/3 ــ رقم 664.

(4) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان: 178/1 ــ رقم 595.

له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق يستعف بها عن سرقته"[5].



(5) رواه مسلم ـ كتاب الزكاة: 709/2 ـ رقم 1022.

المحتوى



المنيا ـ شاهين ـ 6 ش أحمد عرابى
المنيا - عدنان المالكى - 6 ش 15 - شقة 1
ت 086/354576 - 086/346713